

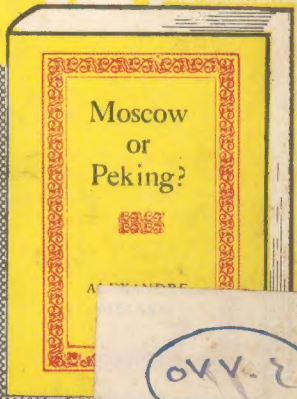
کتابخانه

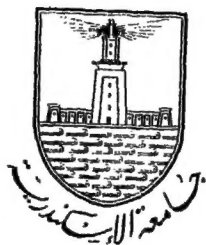
مجموعه عربیة ۱۰۰٪



موسکو اور پکین

بقلم: الکسندر نکاس
ترجمہ: محمود صفی
مراجعة: محمود حسن حامی





المكتبة

تَبِ سِیَاسِیَۃ

مَوَکِیْرُ اَوَّلِکِیْنِ

بِقِیَامِ
اَلکَسَنَدَرِ مِیْیَیْتِ کِیْسَانِ

بِتَرْجِمَۃِ مَحْمُودِ وَصَیْقِ
مُراجَعَتَۃِ مَحْمُودِ حَسَنِ جَلِی

الفصل الأول

وجهها لوجه

كانت مكانة الصين منذ عشرين عاما شيئا نسبيا : يعود الى حضارة عمرها آلاف عديدة من السنين . والصين اليوم دولة عالمية كبرى . ولم يحدث في تاريخ الصين الطويل ان تدخلت هذه الدولة في شئون أوروبا . وللصين اليوم يد مباشرة في توجيه بعض دول أوروبا - اى الدول التى تسمى فى فلك الاتحاد السوفيتى ..

وهى تتدخل فى مسائل مثل برلين وبودابست .. وقد تطلعت عن طريق أزمة السويس الى بلدان الشرق الاوسط . وتهتم الصين ايضا بمشاكل السودان ، وبذلك وصلت الى قلب افريقيا وانشأت خطوط مواصلات مع كينيا وغانا وجنوب افريقيا والسكونغو ..

وان دخول الصين الى المسرح العالمى لا يؤثر على العالم الغربى فى الوقت الحاضر على الاقل . وتجد توضيحا لهذا فى الخطابات القليلة التى القاها ليوشاوتشى - فيلسوف الشيوعية الصينية - وفى المهام غير الرسمية التى يقوم بها مبعوثو بكين . وتنتظر موسكو الى هذا التعدى على انه تدخل فى مبدءا ينبغي ان يكون قاصرا على العمل الدبلوماسى والتعاية من قبل الاتحاد السوفيتى وحده . ولا ترمى جمهورية الصين الشعبية قوتها

الفكر الشيوعي . وهى تحاول الهيمنة على : الاتحاد السوفيتى
وتملئ ارادتها على الجميع .

ونلمس الثقل الجديد لسياسة بكين فى مناطق آسيا الواسعة
الارحاء وان دول الحياذ فى آسيا والدول المرتبطة بخلف جنوب
شرق آسيا تتردد وتعيد تنظيم نفسها وفق التغييرات التى تحدثت
فى مواقف الصين وخططها .

وقومية بكين اشد من تلك التى عبرت عنها حكومة فرموزا ..
فهى قومية اشتراكية شيوعية وهى تجابه استعمار الغرب
« باستعمارها » بقوة وحماس ، وتسمى جمهورية الصين الشعبية
الى احتلال المركز الذى كانت تحتله اليابان خلال سنوات الحرب
العالمية الاخيرة ، وهى تتبع كافة الوسائل التى فى متناول يدها ،
ولا تعبى « اولئك » المخلصين لمذهبها الفكرى فحسب بل تعبى
ايضا الصينيين « الراسماليين » الذين يستوطنون جنوب شرق
آسيا كى تستغل وتقيم وتطور نفوذها الاقتصادى والسياسى ..

ومنذ وفاة ستالين وانهيار الستالينية - ذلك الجزء الميت من
الماركسية - اللينية - والاتحاد السوفيتى يواصل فقدان مكانته
ونفوذته فى الصين ولان الاخاء الفكرى بين موسكو وبكين ليس
عبارة لا معنى لها ، فانه يجب على الاتحاد السوفيتى والصين
ان تكونا قد جربتا مواقف ثورية متشابهة فى آن واحد وفى نفس
الظروف - وواجهتا نفس الاخطار .. ولكن الامر لم يكن كذلك .

وفى اعقاب الحرب العالمية الثانية وانتصار روسيا على هتلر -
وفوق كل شيء بعد نهاية ستالين - مر الاتحاد السوفيتى بفترة
خمول واحس بحاجة الى الراحة الفردية والامن . ولم تظهر هذه
العبارة علنا وبقوة ، ولكن المائتى مليون روسى لمسوا هذا الموقف
التجديد الذى اعترفت به سياسة خروشوف الانتهازية المعادية
لستالين . وفى الوقت نفسه ، كانت الصين تشيد دولة ثورية ..

خاضعة لديكتاتورية ماوتسى تونج ، وقد بدأت هذه الدولة بإجراء اصلاح شامل في الاحوال الاجتماعية .

وقد اكتشف الروس والصينيون وخيبة الامل تغمسهم ان فترة اربعين عاما كانت تفصلهم بعضهم عن بعض . وبالرغم من تصريحات المسؤولين التى تتسم بالتفاؤل وتوحى بالثقة فان الشيوعية فى البلدين كانت تناقض بعضها البعض . وكان لابد على احد الطرفين أن يفسح المجال للآخر من أجل تأمين الظروف للتجتاح الايديولوجى وكان يبدو لاول وهلة أن الصين - بصفتها أحدث عمرا يجب أن تعترف بحق السوفيت فى قيادة الركب . ولكن ماوتسى تونج لم يكن يرى هذا الحل الذى كان يبدو معقولا فى نظر موسكو ..

ومثلما حدث منذ مائة عام للقيصر نيقولا الاول الذى مات من القم عقب هزيمته فى حرب القرم ، فإن ستالين كان يعرف مصيره حزنه ، فقد خسر السباق ليس بعد ان أحرز العالم الراسمالى بعض النصر ، ولكن نتيجة انتصار ماوتسى تونج . وقد أدى انتصار الشيوعية فى بكين الى تضاؤل فرص روسيا فى ابقاء الصين تحت قبضتها .

وقد راقب ستالين عن غير رغبة منه استيلاء ماوتسى تونج على مقاليد الامور فى الصين . وقد استخدم الديكتاتور السوفيتى المناورات عدة سنوات بدون حنكة بين تشيوانج كاي تشيك وماوتسى تونج ، بين الشيوعيين فى كومتانج وفى بينان ، ولم تكن هناك فائدة لستالين فى وضع نهاية لهذه اللعبة ، ازدوجة التى كانت تتلاءم تماما مع مصالح روسيا الدائمة . ولم ينس ستالين ب الذى لم يثق بأحد ان عليه ألا يثق باصدقائه . وكان يعلم أن الشيوعيين الصينيين « اسدقاء له » وانهم سيعملون على تقوية الصين الضعيفة وادخالها فى مضمار الدول الكبرى وسيطالبون

بخصيبتها. الاكبر في مكاسب الشيوعية . وفي هذه الحال لا يبقى ستالين وموسكو الزعماء الوحيدين للعالم الشيوعي

وكان على روسيا أن تواجه واقع الامور بعد عام ١٩٤٩. وكانت شكوك ستالين لها ما يبررها . وكان سير الاحداث وخاصة عقب موت ستالين يؤكد هذه الشكوك تماما . وكان ستالين يستطيع الى حد ما اثناء حياته أن يجابه ماوتسى تونج . ولكن خلفاء سيد الكرملين فقدوا السيطرة على زمام الموقف . وكانوا مجرد صبية يواجهون ماوتسى تونج الساحر الصيني .

ولم يتردد الصينيون ، وبدأوا السباق دون ان يكون في نيتهم الخضوع للروس . وكانوا يريدون أن يكونوا سادة بلادهم ، وأن يسيطروا على الشيوعية الدولية وان يفرضوا انفسهم على العالم . وقد ارغموا الروس بذلك على التسعى نحو التقارب مع الغرب ، ذلك التقارب الذي لا يمكن تحقيقه دون مساومة وبدون تضحيات كبيرة ..

ولم يكن للتضامن الايديولوجي مكان في فترة كفاح ماوتسى تونج ضد الكومنتانج أو حتى ضد اليابانيين . وكان من العبث بالنسبة لموسكو أن تستخدم هذا العذر لترغم الصين على طاعتها والانصياع النسبي لامرها والخضوع لها .

وكان التلامذة يميلون الى الاستفادة من دروس سادتهم ولكن من أجل منفعتهم فقط وذو نية للاعتراف بصواب هذه الدروس . وكان على البعثتين . الشيوعيتين أن تراقبا بعضهما البعض قبل أن تتقابلا معا . وكان الامر اكثر من مسألة فكرتين متعارضتين لايديولوجية لم تكن تستطيع ايجاد الجو والصبغة المثالية للنجاح ولم يكن هناك أحد لتحكيمه في الامر . فقد كانت موسكو ويكون هما أطراف القضية وقضائها .

وجاء صدى هذه المعركة . فقد عرف الروس فجأة الهدوء الداخلي من حيث عدم وجود من يجرؤ على التكهّن بمدهاء خشية ان تحوّل الشكوك ، ولم يكن خروشوف يريد مكافحة الاستياء الداخلي او التعرض للضغط من شيوعية الصين التي تريد ان تتجاوز حدودها . لان موسكو لم تنجح في إبقاء الصين تحت سيطرتها فحسب بل كان لديها ما يدعوها الى ان تخشى من ازدياد قوة الشيوعيين الصينيين على نظرائهم الروس .

ولاقاء هذا الخطر ، قرر خروشوف بدء برنامج السنوات السبع متجاهلا النظرية الايدلوجية والتمسك بالعقيدة الشيوعية . واخذت رأسمالية الدولة في روسيا طابع البرجوازية القوية . هكذا اعترف الكرملين بحقيقة واقعة . ولم يكن من الممكن مكافحة السوق السوداء الروسية الا بنجاح مشروع السنوات السبع الذي سيجلب على روسيا منافع العالم الرأسمالي . وكان الهدف الاسمي هو تحسين مستوى المعيشة الروسى كي يصل الى مستوى المعيشة الاميركى ويجاوزه ..

وكان من العسير بالنسبة للجماهير الروسية ان تقف مكتوفة الايدي حيال هذا المشروع الايجابى . وبالفعل ، كانت هذه الخطوة اول محاولة للحكومة منذ عام ١٩١٧ فى سبيل تحسين احوال المعيشة فى الاتحاد السوفييتى .

ولكن بينما كان خروشوف يعد المواطنين الروس بالعصر الذهبى بعد - اربعين سنة من القيود المختلفة وبذلك يستبعد كل احتمال لتدخل الصين الشيوعية فى شئون الشيوعية الروسية الداخلية - فان بكين من جانبها - كانت تفكر فى شق طريق للشيوعية والاسراع باقصى ما تستطيع فى هذا السبيل .

وانفصل المبدآن الشيوعيان ، واسدل ستار حديدى بينهما . وكانت اقتصاديات البلدين تختلف من حيث الاساليب كما تختلف من حيث القاعدة ولم يكن باستطاعة الكرملين ان يبدى اقل اعتراض

وقد واجه حقيقة لقوة الصينية واستعاضت روسيا عن ذلك بالتدديد بكبر فداء آخر هو يوغوسلافيا التي يتزعمها تيتو . وكان تيتو يستطيع ان يتحمل ذلك ، وقد استفادت الصين من هذا .

ولم تستطع البيانات الرسمية عن الاخاء الصيني - الروسي ان تخفي حقيقة العلاقات بين البلدين . وقد اعرب الصينيون بسرعة عن استيائهم من انحرافات عديدة لموسكو . وقد كافح الشيوعيون الصينيون خمسا وثلاثين سنة دون الاهتمام بدقائق النظرية الماركسية . وقد اكتشف الصينيون انهم القائمون على حراسة تعاليم الماركسية - اللينينية الخالصة بعد ان راوا خيانة الروس لهذه التعاليم .

وكان اهتمام ماوتسى تونج يدور حول تأليف كتلة صينية - سوفيتية شعارها ، الجميع من أجل الفرد والفرد للجميع ، الاتحاد قوة ، وكان على روسيا من أجل تحقيق هذين الشعارين تضحي بما تملكه من أجل الصين . وهكذا مع مرور الزمن ، تستطيع الكتلة ان تجابه العالم وحدها ، ويستطيع الشيوعيون في العالم ان يستعيدوا الحيوية التي قضت عليها أعمال ستالين الوحشية القصيرة النظر . ولم تكن روسيا تستطيع مسايرة هذا المطلب الثوري . فقد اضناها ما قدمته من تضحيات خلال ثلاثين عاما . وكان من المستحيل على خلفاء ستالين ان يقنعوا الروس مرة اخرى بالخضوع للحرمان الشديد من أجل جعل العالم شيوعيا عن طريق توحيد قوى الصين مع روسيا .

ولمنع حدوث اضرابات كبيرة عن العمل كانت تهتدد الحكومة السوفيتية سارع الكرملين الى العمل لتجنب ما هو اسوأ - ولم يواجه ماوتسى تونج هذه المشكلة . فان جمهورية الصين الشعبية كانت ثورية في وجه الاتحاد السوفيتي الذي أصبح محافظا . وكان كل منهما يسبب للآخر حرجا شديدا .

ولم يعد الروس يجدون أن التضامن الايدلوجي مشروع مجز
عندما يتعلق الامر باستخدامه مع ستمائة مليون مواطن من
المحرومين الصينيين الذين يتوقون الى المشاركة في مكاسب مائتي
مليون روسي .

ووجدت موسكو ان نسبة الصينيين للروس وهي ٣ لواحد
كبيرة جدا وجرى استعراض جميع الامور فكانت اوروبا اقل خطرا
واضرارا ومن الممكن استخدام المناورات فيها اكثر من الصين .
واكتشف الكرملين التضامن العنصري - مع العنصر الابيض .
ومعروف ان هناك اقليات عديدة في الاتحاد السوفيتي ولكن
مجموع افراد هذه الاقليات ضئيل وحتى الفول والتركمان والازيك
كانوا يعلقون على روابطهم بروسيا اهمية اكبر من روابطهم مع
اجلادهم الاسويين .

واما بالنسبة لسيبيريا التي تبلغ مساحتها ٧٥ مليون ميل
مربع وسكانها ٢٠ مليون نسمة فقط ، فقد اصبحت محور الاحتكاك
الرئيسي في العلاقات الصينية الروسية .

فقد كانت سيبيريا هي الجزء الكبير من الاراضي العامة التي
يعتبر ما وتسي تونج ان له حقا فيها . فقد كان يجب ان تصبح
سيبيريا مشتركة بين روسيا والصين وبذلك تستطيع ان تغير
وجه الاقتصاد الصيني وتقدم للجماهير الاسيوية من الصينيين
وغيرهم - الارض المثالية التي يمكن ارسال الملايين اليها للبحث
عن العمل والطعام ، ولم تثر حكومة بكين هذه المشكلة رسميا .
ولكن بعض المسؤولين الصينيين كانوا يشيرون اليها . وتجنب
موسكو الرد على هذا الامر . وازدادت شكوك روسيا في هذه
الناحية .

وعقب فترة قصيرة من التفاهم اصبحت الصينيون موضع شك
مثل البلدان الغربية ان لم يكن اكثر . فكان الروس يعتبرون

البلدان الغربية اقل خطرا نسبيا لان الشيوعية كانت توحى بقليل من المخاوف ومن هذه الناحية كان الروس ينظرون الى مسألة يودابست على انها اسوأ كارثة ممكنة . ولم تكن محاولات خروشوف لازالة اثر مغالاة ستالين مجدية . وكان لابد من محاولة ثانية للاتصال بالدول الغربية .

وفي بداية عام ١٩٥٩ ظهر ان الموقف قد تحسن بشكل ملحوظ ، فقد كانت العلاقات بين روسيا والغرب طيبة .. وقامت محاولات مستمرة من قبل الكرملين لايجاد تسوية عامة للمنازعات بين الشرق والغرب ولكن قلة صبر خروشوف وجدت بعض القلق ، وكانت هناك حاجة لتأمين السلام في الغرب بأفضل الشروط قبل معالجة مسألة الصين بمزيد من الثبات والهدوء .

وكانت بكين ترى ان الكرملين يتخذ استعدادات تتسم بالتمرع لهجر الركب الشيوعي بسرعة . وكانت العلاقات بين موسكو وبكين تشبه العلاقات التي كانت بين روما وبرلين عقب سقوط موسوليني عندما أكد المارشال بادوليو رئيس حكومة ايطاليا الجديدة حينئذ استمرار التحالف الايطالي الالمانى ومواصلة جهود البلدين في الحرب لانزال الهزيمة بالعدو المشترك . ولكن الحقيقة هي ان المارشال بادوليو كان في نفس الوقت يرسل مندوبيه الى البرتغال لمفاوضة العدو المشترك .

وكان الشيء ذاته يحدث في موسكو . فقد ضاعف الكرملين اظهر دلائل الصداقة الابدية مع الصين بينما كان في نفس الوقت يتبع سياسة لا تتفق مع المحافظة مع تلك الصداقة . ووجدت الصين نفسها مرة ثانية في عزلة حتى بالرغم من اشتراكها في مؤتمر الاقطاب .. وبالرغم من ان مركزها كان قويا من الناحية الدبلوماسية وان سياسة التقارب السوفييتية حيال الغرب كانت تدل على التبخلي عن الموقف الثورى في العالم وقد أزعج ذلك الصين التي انهمكت في تجربة خطيرة هي نظام الكوميونات .

وكان باستطاعة الصين أن تتبع الاتحاد السوفيتي دون جدال
لأنقاذ موقفها كما كان في مقدورها التراجع كي تعارض شيوعية
الغزالية . وكان باستطاعتها أيضا أن تبحث من جانبها موضوع
التعاقب إن لم يكن مع الغرب فمع اليابان على الأقل .

ولم يكن اقتصاد روسيا والصين يكملان بعضهما البعض . فقد
كان البلدان يملكان ثروات لا تنضب ، ولكن مع أن القوة الصناعية
الروسية ضخمة فإن قوة الصين الصناعية كانت ضعيفة نسبيا
وكان الأمر يحتاج إلى أربعين عاما من الجهود الجبارة والتضحيات
الشخصية لخلق كيان صناعي يضارع الكيان السوفيتي .

وبالرغم من المعونة الروسية والنبوغ الكبير فإن الصين بحاجة
إلى وقت طويل لتصل إلى ما حققه الروس من تقدم .

ومن الناحية الأخرى ، فقد كانت اليابان متقدمة صناعيا ولكنها
كانت تفتقر إلى المواد الخام والثروات المعدنية .

وكان من الممكن قيام ثورة اقتصادية في آسيا لو وجدت اتفاقية
بين بكين وطوكيو لإنشاء سوق مشتركة تضم ثروات وفرص الصين
مع قوة اليابان الصناعية . وكان للصين آنذاك صناعة ضعيفة
لا تتناسب مع الدول الكبيرة . وأما اليابان فكان لديها صناعة
ضخمة بينما هي بلد صغير . وعدم التناسب هذا كان من الممكن أن
- يصبح توازنا مثيرا للعجب لو وجدت الدولتان وسائلهما .

ولم تكن للخلافات المذهبية أهمية كبرى . وإذا تعاون الاتحاد
السوفيتي اقتصاديا مع الغرب مع مرور الزمن فليس ثمة ما يمنع
الصين من أن تفعل ذلك مع اليابان . ففي أحد الجانبين يقبع
العنصر الآيضي - بما فيه الروس وفي الجانب الآخر يقبع
الآسيويون بما فيهم الصينيون .

وقد كانت تجربة الكوميونات في الصين مناورة سياسية أكثر
من كونها هدفا اقتصاديا يجب الوصول إليه مهما كان الثمن . وكانت
النتائج الأولى لخطة الكوميونات سلبية . وكان هذا القشل من

الناحية الاقتصادية يدعو الى الرثاء . وقد شيد الصينيون بعد ان جلولوا انفسهم الى رجال صناعة الافران الصغيرة في ساحات البيوت والشوارع . وحصل الصينيون على الحديد الخردة الذي يكفي للصناعة مع المغامرة بالاختناق . وكانت النتيجة السيكلوجية هائلة فقد اصبحت حكومة بكين مثارا للسخرية .

ولم تات الكوميونات باى تحسن في الصين . وكان اهمال المزارعين يوازي المقاومة السلبية . واما بالنسبة للحياة المشتركة ووجبات الطعام المشتركة والمجتمعات الجماعية ، فقد كان السكان يرون هذه التجربة محدودة الفهد وسخيفة .

وكانت الصين تستطيع بفضل ارتباطها مع اليابان ان تجد من يدعمها كما كان من الممكن ان تزول الكوميونات وتصبح في طي النسيان . وكانت الصين تستطيع بتطوير سريع لاقتصادها ان تزيل بعض المشاريع الایدولوجية المتسمة بالتسرع والغموض والتي لم تضع في الاعتبارها الحاجات الانسانية كما كانت تستطيع الاستغناء عن التجارب التي لا جدوى من ورثها .

ووصلت الازمة في العلاقات الصينية - الروسية الى ذروتها عندما اعلن خروشوف في المؤتمر الحادى والعشرين عن عزمه على انجاح مشروع السنوات السبع الذي قدمه لتنفيذه في روسيا . ولتحقيق هذه الخطة كان الاتحاد السوفيتى بحاجة الى صسيانة السلام . وضمن السلام هو الاتفاق مع امريكا بعد بعض التنازلات فالسلام ضرورى من اجل هذا المشروع والمشروع لا يتحقق الا عن طريق السلام .

ومع ان خروشوف لم يتردد في ان يدفع الكثير من اجل السلام الذى لا بد منه لتحقيق مشروعه الا انه لم يكن على استعداد كبير للتضحية بجزء كبير مما سيحققه المشروع لسد حاجات الصين التى امرت عن تصميمها على المضي في تجربتها بطريقها الخاص ونظرا لانها رفضت اتباع الاتحاد السوفيتى فباستطاعتها المضي في طريقها بوسائلها الخاصة .

وقد كان هذا الطريق مخوفاً بالآخطار . وكان من المحتمل أن تنتشر المجاعة عند أول مرحلة وأول نقطة . وكثرت هذه المجاعة هي ما يخيف حكومة بكين التي لا تستطيع قبولها مثلما قبلتها الحكومات الاقطاعية .، ورغبة بكين في التغلب على المجاعة جعلت مصر الحكومة في مهب الريح . ولم يكن تجنب الكارثة بمستطاع الا عن طريق اتباع الوسائل التعاونية والجماعية .

وكانت مهمة الحكومة جسيمة فيما يتعلق بصغار المزارعين ازاء زيادة السكان المستمرة التي تدعو الى تجزئة اراضي الصين بصورة لا نهاية لها . وكان هذا ما يتضمن خفض مستوى معيشة الفلاحين بالتدريج .

وقد كان عدد سكان الصين ١١٢ مليون نسمة سنة ١٦٨٥ وارتفع العدد الى ٣٠٠ مليون في عام ١٨٧٢ ثم الى ٦٠٠ مليون في عام ١٩٥٨ لذلك كان لابد من توجيه اكثر من خمسمائة مليون مزارع وتبصرهم بمسئولياتهم بواسطة الاساليب الجماعية ولم تتدخل الايديولوجية في هذا الامر . وقد احتفظ التجريب الصيني بمركزه .

وقد سوى الاتحاد السوفييتي مشكلة المزارعين سنة ١٩٢٥ ولما كانت روسيا منهمكة في مرحلتها « لبرجوازية » التقدمية فقد كان من العسير عليها الاهتمام بمشاكل الصين . لذلك تجاهلت هذه المشاكل . ويملك الاتحاد السوفييتي قوة ذرية من الدرجة الاولى وهو يستفيد اكثر فاكثر من مولوده الخام وعدا ذلك ، فان روسيا تمارس تدهورا ايدلوجيا خطيرا . واما الصين فهي اكثر بلدان العالم سكانا وهي غنية بالمواد الخام وايدلوجيتها حديثة العهد ولكن اقتصادها لا زال يحبو وهو يفتقر الى اسس متينة .

ومن ثم ، فهناك في قاعدة التحالف الصيني - السوفييتي تفاوت ملحوظ تفاوت في التوقيت وفي المكان وفي فكرة الشيوعية التي تطبق في البلدين . ولذلك فقد انقلب الازدواج الايديولوجي الى تنافس .

الفصل الثاني

نظريات ورجال

تحولت روسيا في ظل دكتاتورية ستالين الى ملكية خاصة هي ملكية اقليم جورجيا مستقل رأس ستالين وكادت الايديولوجية الشيوعية تغدو جميع الاغراض .

واصبحت الستالينية بعد وفاة ستالين مجرد صورة مشوهة للملكية . . اللينينية . . وحاول خلفاء ستالين - ابساحه السابقون - انقاذ الموقف الذي اصبح مهددا بالخطر على المستوى الايديولوجي . وسيطر خروشوف على بقية الاتباع وغير تبعاه السير . وبصفته شيوعيا عن اقتناع فقد اوقف اصحاب النظريات والاصلاح في الحزب الذين ارادوا المضي في تجارب لينين دون ان يخلدوا في الحسابان تطور الفكر الروسي .

وتخلص خروشوف من رفاقه السابقين . وكان يرغب في التنبذ بالستالينية التي ينادون بها - اى اصرارهم على المضي في الاساليب الوحشية التي اتبعها الديكتاتور الراحل . وكان خروشوف يتظاهر بأنه من انصار ستالين وذلك بقصد تجنب الاتحاد السوفيتي ما هو اسوأ والمعروف انه لم يتوقف مطلقا عن الدفاع عن الشعب الروسي ضد هذه الطغاة .

وهكذا برز خروشوف كبطل لسياسة سوفيتية جديدة .

وكان عليه ان يزيل من الازهان سرية ستالين وان يضع حدا لفترة الارهاب التى تميزت بها ديكتاتورية البروليتاريا . واصبح الروس من المحافظين .

واحتل افراد الشعب تنظيم الدولة للاقتصاد ولكنهم ارادوا الاستفادة من المكاسب المادية التى لم يكن لاحد الحق فيها سوى اعضاء الحكومة البارزين وتصب خروشوف نفسه رئيسا للحكومة وظهر بمظهر الرجل المرح وكان اهتمامه ينصب على تحسين الموقف الاقتصادى بالنسبة للمواطن الروسى العادى واصبح خروشوف مثل هنرى الرابع ، فقد اراد ان يعطى كل روسى وجبة الاسبوع فى الوعاء بينما هو ينتظر البطة التى تبيض ذهابا .

ولم يكن من السهل تبديد شكوك الروس الذين كانوا ينظرون الى خروشوف ووعوده بحذر . ومع ذلك فقد اعتاد الشعب على خروشوف ونسى ستالين واعماله البشعة . وكان خروشوف الاوكرانى اقل شرا من ستالين الجيورجى . وقد حل دهشاء خروشوف المزارع محل براعة ستالين الاسيوية .

وكان لدى خروشوف مشروع عظيم هو انه يربط من جديد - بعد عهد ستالين ولينين - التقاليد الوطنية للبلاد وان يحافظ على مستقبل الاتحاد السوفيتى الشيوعى ، وان يدعم الحكومة بتذكير الروس باسباب فخرهم بالاحداث الجليلة فى تاريخهم . ومن الماركسية الخالصة ومن طريق اللينينية والستالينية وصل الاتحاد السوفيتى الى نوع من الاشتراكية القومية .

ولم يكن خروشوف بالنسبة للروس سوى مرحلة وسطى : همة وصل بين عصابات ستالين وزعماء المستقبل غير المتحيزين . ولم يعرف سكان روسيا ما اذا كان ينبغي عليهم ان يتبعوا خروشوف فى مشاريعه الايديولوجية . وخطته المليئة بالطموح ، ولكن كان الجميع يتفقون معه فى انفعالاته الوطنية وذكرياته

التاريخية وقد استطاع خروشوف الداهية بتخلّصه من الفئنة المناوئة للحزب لن يبتعد عن الذين كانوا شركاء في عهد ستالين ثم اسكت فلاسفة الحزب ولم يكن هذا يعنى ان خروشوف كان ينكر معتقداته السياسية . فقد كان نظريا شديدا لاقتناع وربما كان خياليا بطريقته الخاصة . ولكنه رأى انه لا مفر من التريث الطويل في الطريق للشاق الذى يؤدى الى الشيوعية . واتخذ لنفسه دور الانتهازى ولكن انتهازية لم تكن تنازلا للعالم اراسمالي او لمنافسيه السياسيين في الاتحاد السوفييتى . وقد اضطر الى ان يجعل الشعب الروسى يشعر ببعض الراحة . وان يلتفت الى مطالبه العديدة واذا ما انتهى التريث ، فمن الممكن ان يستأنف الروس زحفهم الى الامام بمختلف الطرق وقد تكون الوطنية افضلها . وربما لاحظ خروشوف انه بتصرفه هذا كان يجذب حذوما وروسى تونج ، فقد عرف كيف يثير المشاعر الوطنية لتحقيق مشاريعه السياسية .

وبفضل التريث الذى منحه خروشوف للشعب الروسى في الناحية الايديولوجية استطاع ان يحرز بعض الكسب وان يحكم قبضته على الجماهير وان يحبط ميول الجيش الاحمر من أجل القيام بانقلاب عسكرى .

ويعتبر الجيش الاحمر السوفييتى اقوى جيوش العالم من الناحية النظرية . واما من الناحية الواقعية فهو يحتل المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث القوة العسكرية وهو يقل عددا عن جيش الصين . ومنذ ان قام ستالين بتطهير القيادة العليا للجيش في عام ١٩٣٨ وحتى وفاة الديكتاتور لم يتدخل الجيش في المشاكل السياسية والايديولوجية للاتحاد السوفييتى ولم يشترك الجيش في الناحية المذهبية منذ ايام الحرب الاهلية وقد استعاد الجيش قوته وهيبته ابان الحرب العالمية الثانية الماضية . وعاد الجيش لروسيا اكثر وطنية و متمسكا بالتقاليد عن ذى قبل

وذابت الطبقة الإيديولوجية التي كانت تسيطر على الجيش . ومنذ ذلك الحين ، وبالرغم من محاولات ستالين لاستعادة السلطة ، فقد احتفظ الجيش بمركزه وهو يعتبر دولة داخل الدولة .

ومنذ وفاة ستالين أصبح للجيش أهمية كبرى في حياة الكرملين السياسية وقد تدخل الجيش لوضع حد لنشاط بيريا ثم تدخل للمساعدة في القضاء على الفئة المناوئة للحزب . ولم يتوقف الجيش من القيام بدوره المتسم بالحذر مع سادة الكرملين .

وأما فيما يتعلق بجيش الصين الفتى ، فإن القيادة العامة الروسية تنظر إليه بشيء من الاحتقار . وقد حارب السوفييت ضد ألمانيا وحملوا الشطر الأكبر من هجمات النازية . وكان السوفييت على يقين بأنهم لم ينقلوا الاتحاد السوفييتي فحسب بل العالم بأسره . وما كان ماوتسى تونج يستطيع أن يتزعم الصين بدون مساعدة السوفييت . وقد كانت العمليات الحربية التي قام بها الشيوعيون الصينيون ضد اليابان لا تذكر ، ولو انتسملت موسكو لهتلر لاستطاعت اليابان أن تقضى على مقاومة الصينيين وأن تبعد القوات الشيوعية .

واحتقار السوفييت للقوات الصينية المسلحة يصبح أكثر وضوحا إذا درسنا سلوك المتطوعين الصينيين إبان الحرب الكورية والمقاومة الجثمانية للجندى الصينى معروفة ، ولكن المستشارين العسكريين الروس كانوا يلومون هذا الجندى لافتقاره الى رباطة الجأش أمام عدو كامل التسليح . فضلا عن ذلك فإنه عندما رأى الصينيون التقاليد العسكرية الروسية ادركوا أن سجلهم العسكرى لا يزال يفتقر الى الكثير من اسباب الفخار .

ولكن المدهش حقا أن الروس يلومون القوات الصينية كثيرا بسبب اخلاصهم للإيديولوجى . ومن الناحية الأخرى ، فقد كانت هيئة أركان الحرب الروسية ترى أن الجندى الصحيح يجب أن

يضع نصب عينيه قبل كل شيء النظام الذي تفرضه عليه معتقداته الوطنية وحاجته الأولية للدفاع عن أرض وطنه وبيته وأرضه وبلاده بصفة عامة . ومع أن الخبراء العسكريين الروس يعترفون بأن الأيديولوجية يمكن أن تحل محل القومية فهم يرون أن فكرة القومية لازالت غامضة بالنسبة للجماهير الصينية فضلا عن أن الجيوش الكثيرة العدد كجيوش الصين تواجه أخطارا عديدة اذا واجهت هزيمة عسكرية ولو محدودة النطاق .

ومن الممكن في مثل هذه الحالة ان تنتشر الفوضى بسرعة بين الأشخاص الذين ليس لديهم ما يدعمهم اذا فشلت أيديولوجيتهم . ويمكن للأيديولوجية أن تؤدي إلى التحمس في حرب أهلية . ولكنها قد تؤدي إلى كارثة اذا استخدمت في حرب دولية . وفي هذه الحالة الأخيرة تتوقف الأيديولوجية عن توجيه خطوات الحرب . ولا يخجل الكرملين أن يناقش وجهات نظر زعماء الجيش السوفييتي أو يفرض رقابة عليهم . وللمرة الثانية ، فإن هذا الموقف الذي يتسم بالحرر هو جزء من التكتيك الخاص باستمالة الجيش اذا كان المرء ليس متأكدا من استطاعته السيطرة عليه بصورة فعالة . وما يفيد موقف الاتحاد السوفييتي في الداخل ، يفيد موقفه حيال دول الغرب ودول الحياد ، وبالفعل ، فإن التريث يصبح في مصلحة الكرملين عندما تكون العلاقات مع الدول غير الشيوعية موضع تساؤل ،

فالتريث يتيح المجال لازالة مخاوف الغرب ، فضلا عن أنه يقنع دول الحياد بحسن نوايا الكرملين الذي توجه إلى الامانة السياسية واحترام قواعد مبدأ التعايش السلمي . وتلزم جميع خطط الكرملين الحالية حول هذا الباب وهكذا استطاع الاتحاد السوفييتي في غضون سنوات قليلة أن يحرز سمعة حسنة في اتباع الأصول الدبلوماسية بحيث أصبح في هذا المجال قريب المشبه بالعالم الموزجوازي المثلث .

• وللوصول الى هذه النتائج التى لا يستطيع الانسان أن يتأكد ما إذا كانت تنبع من الاخلاص الحقيقى او الرغبة فى التمويه فان الاتحاد السوفييتى لم يتردد فى كبح جماح الحماس الايديولوجى لفلاسفة الحزب الشيوعى السوفييتى ومن مصلحة الزعماء الحاليين للاتحاد السوفييتى أن يعتبروا فترة تجربة الاشتراكية قد انتهت وهذا يسمح لهؤلاء الزعماء بقمع المتطرفين من دعاة الماركسية واللينينية والحد من نشاط الخصوم فى اليسار وارضاء موظفى الدولة قدر الامكان بتأكيد فوائد مناصبهم بينما يحصل البيروقراطيون فى الحزب على مكاسب مادية وعلى أسباب الامن الطبقي مما حرموا منه فى عهد ستالين بريا .

وهكذا فان الحكم السياسى الحالي فى روسيا - مع انه اشتراكى وسوفييتى - لا انه لا يشابه الحكم الذى تخيله ستالين ولا زال بعيدا عن الحكم الذى حلم به ماركس ، وقد استمر تيار التطور الحالي بدفع حماس للثورة الذى عرف من ١٩١٧ - ١٩٣٥ فى طريق النسيان .

• وان ما حققته الصين الشعبية من مشروعات ضخمة هلت لها دعاية بكين ، لم يقابل من الكرملين الا بالغمز واللمز . وقد نجم عن ذلك اضطراب تحول سريعا الى استياء . ان الصين هى الحليف الاكبر للاتحاد السوفييتى ولكنها حليف يثير المراقيل ويمنع موسكو من تزعم المعسكر الشيوعى دون شريك وقد عمد الاتحاد السوفييتى الى جعل للحكم الروسى أكثر تحملا لمنع اى سيطرة لبكين على الحياة السوفييتية . وهذه هى الوسيلة الوحيدة لكسب الجماهير السوفييتية . وقد تأثرت من ذلك الشيوعية الحقيقية . يحكم الصين خمسون رجلا من اتباع ماوتسى تونج وأنصاره وقد انتهج هؤلاء لسنوات عديدة حياة صوفية وهسكزية فى آن واحد . وكانوا مدنيين من حيث ملابسهم . وتجاهل هؤلاء المزاوغات الايديولوجية بصفة عامة ، وكانت معتقداتهم الماركسية

عميقة ولكنها لم تتعرض لطبيعة اصحاب النظريات العملية .
ويستطيع المرء ان يقول ان زعماء الصين الشيوعية عملوا بطريقة
تناقض من سبقهم من البلشفيك الروس . وقد حاول الروس ان
يطبقوا في احوال معينة نظريات فلت اوانها بسبب تطور الاحداث ،
بينما يادر الصينيون الى العمل ولما انتهوا من بناء صرح دولتهم
البوا نتائجهم العملية رداء النظريات .

وقد اشرك ماوتسى تونج رفاقه في تحقيق رسالته . وهو بذلك
قلد لينين في سلوكه حيال مرؤوسيه . اما ستالين فقيد اشيد
ديكتاتوريته على انقاض شركائه السابقين قبل ان يطبقها على روسيا
ولكن ماوتسى تونج لم يتخل عن طريقته التى كان يعتبرها تلامذته
الخمسون ديموقراطية على الأقل .

وطاف ماوتسى تونج وتلامذته في طول الصين وعرضها ثلاثين
عاما وعاشوا قريبين من الطبيعة . ومع أنهم عرفوا معنى النقى ،
الا ان هذا لم يكن خارج حدود بلادهم الواسعة الازجال . وقد
استفادوا من حسنات علومهم المشترك تشيائج كاي تشيك ثم
مُشَقَّوْا عليه وتصلحوا معه وفي النهاية طردوه من البلاد ولكنهم لم
يتخلوا موقف الثوريين الروس الصليب الممزق . وانما كانوا
انتهازيين بسبب الضرورة السياسية واحيانا بسبب ميولهم الى
التفاوض .

وقد يلد ماوتسى تونج حياته لا وهو من مواليد ١٨٩٣ « بالتمرد
على السلطة الابوية . وهرب من المدرسة ثم من عائلته ، ووجد في
النظام الاجتماعي الذي يريدون ان يعرضوه عليه . لا يطاق . وقد
زوجه ابوه رغم ارادته وهو في الرابعة عشرة من عمره . ورفض ان
يرى زوجته . وتزوج فيما بعد من طالبة كانت زوجته الحقيقية
الاولى . وقد قتلها اعداء ماوتسى تونج السياسيون وتزوج مرتين
بعد ذلك مرة من طالبة ثم من ممثلة شابة . ونظرا لان فكره كان

ثالثاً : فقد كان حائراً في التماس طريقه .

ولم يكن يعلم ماذا يجب أن يكافح في سبيله من الناحية السياسية ولكنه كان يعلم ماذا يريد أن يقضى عليه : النظام الاجتماعي القائم . و مر ماوتسى تونج بعدة حالات ذهنية من قلق وغيرة . وقد اعتنق كل مبدأ وكل اتجاه .

وقد ارشده الثورة الروسية الى النور ، فاصبح شيوعياً . . واستماتته روسيا ولكنه رفض الذهاب الى موسكو حتى تولى مقاليد الحكم . وكان يقصد البقاء صينياً قبل كل شيء . . وارتقى في الحرب في غضون سنوات . وفي سنة ١٩٣٠ أصبح مستشاراً سياسياً في الجيش الاحمر آنذاك . . وعين سنة ١٩٣٥ سكرتيراً للحزب . وفي سنة ١٩٤٣ فقط تولى رسمياً السيطرة على الشيوعية الصينية .

وكان ماوتسى تونج تقديمياً في أعماله ومحافظاً في بعض النواحي . . وعن طريق هذا الاتجاه المحافظ حصل ماوتسى تونج على الالهام من التعاليم العسكرية القديمة التي اكتسبته بعض النتائج الايجابية . وفي المجال السياسي كان بارعاً في الاستفادة من هذين الاتجاهين اللذين كانا متعارضين في الظاهر . ووضع مبدأ حب الماركسية - اللينينية والتقاليد الصينية القديمة . . وهذا المبدأ هو الديمقراطية الجديدة وكان يريد تطبيق نظريات ماركس على ظروف بلاده الخاصة وكان من الممكن أن يكون شعاره التجريب ولا شيء غيره .

وكان ماوتسى تونج لايهتم الا بالنتائج وبالوصول عليها بأسرع ما يمكن وقد احتل ماوتسى تونج اليوم مرتبة بين كبار مفكرى الشيوعية العالمية ، رغمًا عنه وعن العقم الذي أصاب نظرية ماركس في روسيا هو الذي صنع أسطورة ماوتسى تونج . . وقام بعض تلاميذ ماوتسى تونج بزيارة لموسكو وعلقوا هناك

درساً يختلف جداً عن الدرس البسيط الذى قلعه لهم زعيمهم
ماوتسى تونج وقد عاد هؤلاء « المنحرفون » بدون تردد الى
مدرسة ماوتسى تونج .

وكان التلاميذ البالغ عددهم خمسين - أو بالاصح ٤٤
تلميذاً - فى المرحلة الوسطى من العمر . وكانت لديهم الخبرة
والمعرفة . ولكن الذين سيخلفونهم هم من البيروقراطيين الذين
لم يتعرضوا للنار ولم يعرفوا شيئاً من الشقاء ولم يتعرضوا
للمطاردة .. وقد حصل التلاميذ على خبرة عسكرية تفسر سر
النفوذ القوي الذى يتمتع به الجيش الصينى .

كان ماوتسى تونج قائداً فى الجيش ، ولذلك فقد كافح فى سبيل
السلطة وهو يشبه فى هذه الناحية كمال اتاتورك وليس لينين ..
وعن طريق جهوده أصبح الجيش الاحمر العنصر السائد فى
الحزب . فكان الجيش يحدد فئات اعضاء الاحزاب ويديرهم
فى المدرسة الثورية . بينما كان الحزب فى الاتحاد السوفيتى
يسعى الى الحصول على الطاعة عن طريق البوليس الخاص .
وبينما لم يتوقف الكرملين عن الشك فى الجنرالات ومراقبتهم
مراقبة دقيقة فإن الزعماء العسكريين فى الصين كفوا يسيطرون
على الدولة والحزب الذى خرجوا من بين صفوفه .. ويستطيع
هؤلاء العسكريون ان يسيطروا على جميع المقاطعات والرجال
والثروات . وازداد البوليس قوة خاصة منذ سنة ١٩٤٩ ولكنه
لم يصل الى نسبة ما كانت عليه هيئة م. ف. د فى عهد ستالين
وبعده .

وفى حالة التعبئة العامة ، يستطيع جيش التحرير الشعبى
الصينى ان يجند أكثر من ٨٠ مليون رجل . ويضم هذا الجيش
بشرة ضباط برتبة مارشال .. واما لقب المارشال الاعلى الذى اوجد
لماوتسى تونج - فلم يعط لاحد غيره والتنظيم العسكرى والنظام

في هذا الجيش على درجة من التقدم ولكن أسلحة وعتاد هذا الجيش الضخم لا تفي بالغرض ، ويلوم الشيوعيون الصينيون من غير العسكريين الجيش لنفوذه مع أن قوته ضعيفة نسبيا .

وتعتمد البحرية والأسلحة الجوية في الصين اعتمادا كبيرا على المعونة الروسية والتشيكية ، ولذلك فإن الحكومة ترغب في إقامة صناعة طائرات مستقلة . أن الاستقلال هو هدف جميع الصناعات التي تسد حاجة الدفاع الوطني . وعدم صبر ماوعسى تونج وحكومة بكين يتجلى في هذه الناحية . والمسألة ليست هي إقامة جيش قوى بما فيه الكفاية لشن هجوم على آسيا أو على العالم بقدر ما هي مسألة التخلص بأسرع ما يمكن من الحراسة السوفيتية في مسألة الأسلحة ومعدات الحرب .

وعندما وجد الحزب الشيوعي الصيني نفسه على رأس دولة يبلغ عدد سكانها ستمائة مليون نسمة فإنه دفع أعضائه إلى العمل بكل قوة واستخدام سلاح الدعاية لخدمة أغراضه .

وكان لابد من توفير عوامل النصر للدعاية الحزب . وقد تطوع الملايين من الشباب للقيام بهذه المهمة . وطاف رجال دعاية الحزب في طول البلاد وعرضها بحماس بالغ وبدون أقل استعداد وهم يحملون « الكلمة الطيبة » وكان هذا الحماس نتيجة مجابهة مساوئ العهد الماضي ووعود العهد الجديد بالفعل . كانت مهمة رجال دعاية الحرب أن يرفعوا معنوية الجماهير وأن يثيروا في أنفسهم قدرا من الثقة في أنفسهم وفي المستقبل . وقد فعل المبشرون الجدد المعجزات . فقد أزالوا مخاوف الفلاحين وقضوا على شكوكهم . وكان عليهم أن يقنعوا رجال الصناعة بحسن نية الحكومة تجاههم . وهاجموا الخمول والفساد المتفشين بين الموظفين واستطاعوا القضاء على الشعور بعدم المبالاة .

ولم يكن هناك داع — كما حدث في روسيا للقيام بحملات انتقامية ضد الفلاحين .

وكانت النتائج مرضية بشكل عام ، مع أن البروقراطية لم تكن بطيئة في وقف بعض الدوافع . ولكن كان لابد للمعابة الحزب من المضى فيها وتكيفت اذهان المثقفين مع الموضوع الجديد . وبفضل هذا التكيف اللامع تغلب الحزب على الصعوبة الكبرى . وهى تولي زمام الامور وقررت بكن ان تدير شئون البلاد ادارة حازمة وبدأت هذه الخطوة بدفع رواتب طيبة للموظفين وبصورة منتظمة . واعطى هؤلاء مركزا يخولهم امتيازات لم يكونوا يحظون بها في عهد كومنتانج . وهكذا ، اقام الشيوعيون الصينيون حكمهم في اربع سنوات ، بينما استغرق الامر بالنسبة للكرملين خمسة عشر عاما .

والترزم السوفييت الصمت ابان فترة التلاؤم هذه . وما كان ماوتسى تونج يقبل بسهولة اى تدخل من قبل موسكو في تطوير المغامرة الشيوعية الصينية . وفي الوقت الذى كان الحزب الشيوعى الصينى يبذل فيه امتنانه للمعونة المادية والفكرية من الاتحاد السوفيتى ، فان الحزب كان وطنيا في جوهره وليس دوليا . . . واطلق الجيش الصينى على نفسه اسم جيش التحرير . فقد حرر الجيش الشعب الصينى من مضطهديه البورجوازيين كما حررهم من التدخل الاجنبى ولاسيما التدخل الأمريكى . ولم يكن فى وسع الصينيين احتمال اى تدخل جديد حتى ولو كان وديا .

كانت الصين قد تعرضت لتدخل متواصل من الخارج وبخاصة اليابان وفرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا وذلك خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين . وكما سرقت هذه الدول الاجنبية حقوقا فى اراضى الصين فقد حذت حذوها الولايات المتحدة والمانيا . فقد هزمت اليابان الصين فى حرب ١٨٩٥ واستولت على كوريا . ولم تكن حركات الاصلاح فى

الصين قد نشأت في ذلك الحين ، ولكن المصلحين كانوا يريدون تغيير معالم بلادهم الاقتصادية والمتاخرة اقتصاديا وجعلها دولة حديثة كاليابان مع طرد الأجانب وكثيرا ما كانت الثورات التي يثيرها رجال الإصلاح حينئذ تهاجم المستوطنين الأوروبيين قبل أن تتجه نحو حكام الصين أنفسهم .

وفي سنة ١٩٥٩ أصبح ماو تسي تونج بطل الصين التي حطمت الاقطاع وقضت على الفساد وطردت الأجانب ، ولم يكن هناك شك حول السماح للسوفيت باحتلال مناصب هامة في الحياة السياسية للصين الجديدة . وقبل ماو تسي تونج عرض المعونة الاقتصادية من جانب السوفييت . ووافق على وصول ٢٠ ألفا من الاختصاصيين الروس بشرط ألا يحاولوا معارضة أى نشاط سياسي أبان إقامتهم في الصين .

وبالرغم من ذلك ، فإن الصينيين لم يكونوا يشعرون بفتور نحو الروس وكانوا يعتبرونهم أفضل شعوب الغرب ، وإن دراسة العلاقات التاريخية بين روسيا والصين قد توضح سر مودة الصينيين تجاه الروس .

الفصل الثالث

من نيرتشيتسك الى منشوريا

غزا المغول روسيا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر . .
واستطاعت موسكو أن تحرر نفسها من الغزاة الاسكيويين
واضطهادهم لها . واصبحت موسكو مركز روسيا وبدأت تهتم
باسيا وقام للروس بأول غزواتهم وراء جبال الاورال : وكان هذا
بداية توسيع بطيء .. نحو الشرق .

وفتح الروس أراضي سيبيريا سلميا في القرن السادس عشر
والسابع عشر ووصلوا الى مشارف الصين ووجدوا أنفسهم في
اقاليم واسعة لم يهتم الصينيون باحتلالها .

وحدث اللقاء بين الروس والصينيين في اللحظة التي توحدت
فيها روسيا تحت حكم أسرة رومانوف بينما استعادت الصين
وحدها برعاية أسرة مانشو بعد حروب أهلية طويلة . وفي ذلك
الحين كانت الامبراطوريتان تحتلان ضفاف نهر أمور .

وفي عام ١٦٨٩ وقعت معاهدة نيرتشيتسك التي تبادل بموجبها
الصينيون وقيصرية روسيا العلاقات الدبلوماسية وحددوا مناطق
نفوذ البلدين على طول نهر أمور . وتطورت العلاقات التجارية
للحدود التي كانت قائمة منذ عهد المغول بسرعة عبر الحدود
الطبيعية . وببادل تجار البلدين منتجاتهم تحت اشراف الجنود
الذين يحرسون نهر أمور .

ومعاهدة نيرتشنسك التي سمحت بعد تسوية مسائل الحدود بفتح أبواب الصين لتجارة روسيا كانت أول معاهدة تعقدها الصين مع دولة أوربية .

وسارت العلاقات الروسية مع الصين وفق هذه المعاهدة حتى عام ١٨٥٨ . ولما تحرك الاستعمار الروسى فى آسيا نتيجة تقدم لاستعمار البريطانى هناك امر القيصر نيقولا الاول قواته المربطة فى سيبيريا بالزحف نحو وسط اسيا للوصول الى حدود ايران وافغانستان بصفة خاصة . ولكن لابد من وقف تقدم بريطانيا فى شمال غرب الهند . . ولكن هذا الزحف نحو جنوب اسيا رافقته حملة تقدمت نحو الشرق باتجاه سنكيانج الى شمال غرب افغانستان . . وكانت مقاطعة سنكيانج تابعة للصين . والحقيقة فان هذه المقاطعة كانت تتمتع بالحكم الذاتى على اساس ان

سكانها ليسوا صينيين . فضلا عن بعدها عن بكين وحصل الروس على حق اداة سنكيانج . وكانت روسيا تحتفظ ببعض النفوذ فى هذا الجزء من الصين حتى ثورة ١٩١٧ . ولم تنج منغوليا من حاجة روسيا الى التوسع نحو الشرق الاقصى وهناك ايضا اعترفت الصين بحق روسيا فى الاشراف على مقاطعة اخرى من اراضيها . ولم تنجح الصين الى اليوم فى استعادة منغوليا الخارجية التى يعتبر استقلالها عن روسيا شيئا صوريا .

وبعد منغوليا جاء دور منشوريا . وفى سنة ١٨٥٨ وقعت معاهدة جديدة بين الصين وروسيا بدلا من معاهدة نيرتشنسك . . وحصلت روسيا فى هذه المرة على حق المرور عبر اراضى الصين لتستطيع قواتها الوصول الى المحيط الهادئ واتشأت روسيا ميناء فيلاديفستك . . وقررت انشاء خط حديدى عبر سيبيريا بناء على نصيحة بسمارك الذى قننهج لرؤية الروس يتجهون الى الشرق الاقصى تاركين الالمان احرارا - كما اعتقد - فى السيطرة على

أوروبا . وقد سار الخط الحديدي عبر منشوريا . وبذلك وقعت مقاطعة صينية أخرى تحت سيطرة روسيا .

وأدى ضعف إمبراطورية الصين في ذلك الحين إلى أن تصبح روسيا دولة قوية بجوار الصين . واستطاع قيصر روسيا أن يتدخل في شئون الصين كما يطلو له . ومع ذلك فإن وجود الروس لم يوقظ شعور العداء في الصين وتجنب الروس استغلال الأراضي التي سيطروا عليها ، كما تجنبوا التدخل في المسائل المحلية القائمة . وكانت روسيا هي الدولة البيضاء الوحيدة التي استطاعت فهم خفايا الشخصية الصينية .

وقد استطاعت روسيا بفضل غزواتها لآسيا أن تحصن نفسها ضد الخطر الأصفر وأن تجعل عقلية الروس مرنة كما اتاحت لهم ممارسة سياسة تتسم باللين والدهاء تجاه جيرانهم الآسيويين . وقد مكنتهم ذلك من وقف التوسع البريطاني على الحدود الشمالية لإمبراطورية الهند .

وكانت الحرب الروسية اليابانية نكسة بل كارثة ، ولكن يجب معرفة أصولها وأسبابها لأن هذه مسألة لها علاقة باضمحلال روسيا القيصرية في الداخل وقد عرفت الدبلوماسية القيصرية كيف تتجنب الاصطدام المباشر مع الجماهير الصينية وقد يقول المرء إن الحرب التي خاضتها روسيا مع اليابان سنة ١٩٠٥ مع أنها خسرتها من الناحية العسكرية إلا أنها كانت مفيدة لروسيا بسبب العطف الذي أوجده في الصين على الدولة الأوربية الوحيدة التي قاومت اليابان عدو الصين اللدود في القرن العشرين . ففي بداية القرن الحالي ، كان الصينيون يعتبرون اليابان خائنة للقضية الآسيوية وأنها متواطئة مع بريطانيا .

وعندما قام صن يات صن بثورته عام ١٩١٧ وأقام برنامجه السياسي على ثلاثة مبادئ هي : الوحدة الوطنية والديمقراطية

والتقدم الاجتماعي ، نظر الى روسيا القيصرية كبلوة صديقة كبيرة . وفي نهاية الحرب العالمية وبعد الثورة الروسية ، ولدت الشيوعية في الصين . ومنذ عام ١٩٢١ بدأ الحزب الشيوعي الصيني يلعب دورا هاما وتحالف صن يات صن مع الشيوعيين - الذين كانوا قوة لا يستهان بهم - وقبل المعونة القادية من روسيا . . . ومنذ ذلك الحين لم ينقطع نفوذ الاتحاد السوفيتي سواء داخل حدود الصين او خارجها .

وكان ستالين يجذب تحالف الشيوعيين الصينيين مع حكومة تشاينج كاي شيك وهو بذلك يخالف تروتسكي في هذه الناحية . . . وكانت النتيجة وقوع كارثة ، فان تشاينج كاي شيك استفاد من المعونة فقلع على طفاؤه وقبض على زعماء الشيوعيين واعلمهم بوطرذ المستشارين العسكريين السوفييت . واضطر ميشيل يورودين الذي نظم القوي المشتركة لحكومة كومنتانج والشيوعيين في الصين الى الرحيل من الصين .

وكان موقف ستالين الانتهازي هذا وليد حذر ورغبته في تجنب اي اتمام يوجه الى الاتحاد السوفيتي بانه يتدخل في شئون الصين وبينما كان تروتسكي يطالب بالثورة بأي ثمن ودون تاخير كان ستالين يفضل مساندة الظروف واجل ستالين في خطاب له امام المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي السوفيتي في ديسمبر سنة ١٩٢٧ .

اعلن ان عدم احراز الثورة الصينية لاي انتصار على الاستعمار يجب عدم المبالغة في تقديره اذا وضع ثلرء نصب عينيه ظروف وامكانيات الثورة وقال ان الثورات . . . الشعبية تكبري لانتصر دائما في الجولة الاولى .

وقد بدأت الجولة الثانية عندما ألف الشيوعيون حكومة سوفيتية في مقاطعة كيانج سي - وسط الصين تحت اشرف ماو تسي تونج وشواين لاي وتشوتيه . وعندما طرد هؤلاء من كيانج سي سنة ١٩٣٤ لجأوا الى مقاطعة شنسي البعيدة واتخذوا بلدة

يينان عاصمة لهم . وانتظروا اللحظة المناسبة لاستئناف هجومهم .
.. وقد اتاح لهم اليابانيون هذه الفرصة عام ١٩٣٧ .

وعاود ستالين بعد تخلصه من تروتسكى - سياسة اللسف والدورن فاعترف بحكومة تشاينج كاي شيك ، وتجنب اى اتصال مباشرة مع ماوتسى تونج وترك الموقف فى الصين ريشما يتضح ..
وكانت الحكومة الشيوعية تقدر هذا الموقف ولكن ماوتسى تونج اضطر الى عدم القيام باى نشاط . ورأى تشاينج كاي شيك وحكومته ان الروس جيرانه معتدلون مسالمون يستطيعون تهدئة الدوافع الميالة الى القتال لدى الشيوعيين الصينيين ..

وعندما هاجمت اليابان الصين اتخذت الدول الغربية موقفا يتسم بعدم الاكتراث حيال ذلك . واكد الروس للحكومة الصينية تأييدهم الاولى لها . وفى الوقت نفسه أوحى الروس للشيوعيين الصينيين بالتعاون الفعال مع حكومة تشاينج كاي شيك . وانتقل الروس بعد ذلك من القول الى العمل وقاموا بحملة عسكرية ضد اليابان قرب مشارف منشوريا ، وقد انتصر الروس فى هذه الحملة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ وساعدت هذه المعارك على تخفيف العبء عن الصينيين - الحكومة والشيوعيين فى كفاحهم ضد المحتلين اليابانيين . وكشفت هذه المعارك ايضا عن المواهب الجبرية لقائد القوات السوفيتية فى الشرق الاقصى - زوكوف - الذى أصبح مارشالا فيما بعد .

وقد قرر ماوتسى تونج من تلقاء نفسه وبتشجيع من موسكو ان يتعاون مع الحكومة المركزية فى الحرب ضد اليابان . ولكنه اقدم على ذلك بكل تحفظ وأعلن أساس هذا التحفظ فى اجتماع سرى للحزب على صورة شعار : ان ٧٠٪ من سياستنا هى من اجل تطوير الحرب و ٢٠٪ للتعاون مع تشاينج كاي شيك و ١٠٪ للنضال ضد اليابان ..

وفى الوقت الذى التزم فيه ماوتسى تونج ببرنامجه كان

لستالين علاقات طيبة مع حكومة الصين المركزية - وقد فعلت الدول الغربية أمريكا وبريطانيا العظمى ما بوسعهما لتحاىي هجوم اليابان على ممتلكاتها او مناطق نفوذها في اسيا . والى ان وقع الهجوم الياباني على بيرل هاربر كانت الدول الغربية تحاول كسب صداقة طوكيو . ولكنها اضطرت بعد ذلك الى اتخاذ موقف يتسم بالتحفظ الشديد ازاء الصين : وقد استفادت روسيا التي التزمت بسياسة التفاهم الودي مع الصين من ميل الدول الغربية الوقت الى مساعدة حكومة الصين المركزية . فعقب العدوان الياباني عام ١٩٣٧ وقعت روسيا معاهدة عدم اعتداء مع الصين ومنحتها قروضا واعتمادات واسعة النطاق وتمهلت بمسدها بمواد عسكرية وغيرها بينما قامت قوة من الطيران التكتيكي الروسي « المتطوعين » يقدر عددها بخمسمائة طائرة بحماية نانكين وهانكو وغيرها من مدن الصين .

وقد اعترف الجنرال الأمريكي تشينولت المستشار العسكري لتشاينج كاي شيك - في كتاب صدر سنة ١٩٤٩ بان منذ صيف ١٩٣٧ الى ١٩٤٢ كان الجزء الرئيسي من المعونة الخارجية للصين ياتي من روسيا وقد قالت مدام تشاينج كاي شيك في ٢١ يناير سنة ١٩٤١ في هذا الصدد « خلال السنوات الثلاث الاولى من مقاومتنا لليابان ، قدمت لنا روسيا معونة اقتصادية وعسكرية تبلغ اضعاف ما حصلنا عليه من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى .. وعدا ذلك فان روسيا ايدت طلب الصين في عصبة الامم بوجوب اعتبار اليابان دولة معادية وعندما احتجت اليابان بان المعونة التي تقدمها روسيا للصين هي خرق لحياد السوفييت لم يهتم الاتحاد السوفيتي بذلك واستمر في تقديم المعونة ويمكنني ان اقول ان هذه المعونة لم تكن مشروطة »

وعقب هجوم اليابان على الولايات المتحدة وهجوم ألمانيا على روسيا تضاعل نفوذ روسيا. ومناعدها . ولما كان هناك اتفاق

روسی - یابانی وقعه ستالین وماتسوکا فی موسکو . فان الروس حولوا جميع جهودهم ضد المانيا ورغم أن روسيا لم تكن قد أهملت الصين الا انه لم يكن في وسع ستالین ان يهتم بها كما كان يفعل من قبل وأصبح النفوذ الامريكي في الصين هو الغالب . وبينما ظهر ان الروس على وشك ترك الصينيين لمصيرهم - من شيوعيين ووطنيين فان الامريكيين أصبحوا هم حلفاء الصين .

وظل نفوذ السوفيت كما هو ثم ازداد عقب موقعة ستالينجراد . . ولكن لم يصبح لدى الصينيين نفس شعور الامتنان نحو موسكو . . وأصبحوا يدركون انه لو لم يوقع حلف عدم الاعتداء بين روسيا واليابان ولو ظلت اليابان العدو القوي لروسيا لنظرت موسكو للصين على انها حليفته الكبرى . وقد شعر ماوتسى تونسيج بخيبة الأمل من هذه الحقيقة شأنه في ذلك شأن الحكومة المركزية في الصين . فقد كانت الصين تعتبر هذا التحالف الروسي - الياباني حلقة مرتبطة بالحلف الالماني الروسي الذي عقد في هام ١٩٣٩ .

ولولا الولايات المتحدة وبريطانيا لبقيت للصين وحدها تواجه مصيرها ولمحاولة تبديد هذا الرأي السئ لم يتوقف ستالین عن مساندة تشاينج كاي شيك وحكومة تشونكنج ، ولما كان الشيوعيون الصينيون يرد ذكرهم في موسكو وإذا حدث ذلك فأنما يكون عند مقارنة مركز الشيوعيين الصينيين الضعيف بالنسبة للحكومة المركزية ولم يكن هناك مجال بالنسبة للكرملين كي يعتبر الشيوعيين الصينيين دولة داخل دولة . وكان ستالین من الناحية الرسمية على الأقل يعترف بتشانج كاي شيك ممثلا للصين بأسرها - وهذا مثل آخر على انتهازية ستالین التي سمحت ببقاء النفوذ الروسي في الصين .

وخلال هذه الفترة بالذات ٤٢ - ١٩٤٤ بدأ الشيوعيون

الصينيون يظهرون تحفظهم ازاء النظام الماركسى الذى نشره ستالين ولاسياب تتعلق بسياسة السوفيت العليا وضع ستالين مسألة المحافظة على بلاده فوق جميع الاعتبارات الاخرى وأحيانا على حساب التعصب الايديولوجى . ولم يكن ثمة ما يدعو الشيوعيين الصينيين الى عدم اعادة النظر فى الايديولوجية الشيوعية او تحويل نظامها واساليبها بحيث تصبح ملائمة لطبيعة البلاد وظروفها فى ذلك الوقت وفى سنة ١٩٣٨ اعرب ماوتسى تونج بوضوح عن هذا الاتجاه عندما قال « يجب أن تتخذ الماركسية صورة وطنية حتى يمكن تطبيقها عمليا وان كل ظاهرة للماركسية الصينية يجب ان تحمل الطابع الصينى اى تتلاءم مع الصفات الصينية » وقد اظهرت رغبة ماوتسى تونج فى ايجاد ماركسية صينية انه يريد اثبات ان الثورة الصينية كانت فريدة فى نوعها وليس ثمة من صفات مشتركة بينها وبين الثورة الروسية .

ويرى ليوشاوتشى « العقل للفكر » للحزب الشيوعى الصينى ان هذا الحزب من خلال العشرين عاما الاولى قام باحداث جلية هامة اكثر من تلك التى مر بها اى حزب شيوعى اخر فى العالم، وانه حصل على خبرة اكبر فى ميدان الكفاح الثورى . وقد اعلن ليوشاوتشى هذا القول عام ١٩٤٣ وبعد بضع سنوات رأت روسيا ان الصين الشيوعية ليست الجار والحليف الايديولوجى الذى كانت تتمناه . وابلن الحرب العالمية الاخيرة شعر الشيوعيون فى الصين انهم وحدهم فى الميدان . وكان هذا الشعور بالهجر الذى فرضه نظام الشيوعية فى العالم هو الذى اصبح بذرة الشقاق بين موسكو وماوتسى تونج .

ولما تطور سير الحرب فى صالح الروس ، عاد اهتمام الكرملين بالصين من جديد . ومن عام ١٩٤٤ الى ١٩٤٥ شدد التقاد فى الصحف الروسية هجومهم على حكام الصين باستثناء تشيانج كاي شيك الذى لم يتعرض له احد ، ولكن اتصار وخصوم كاي شيك

بدأوا يعملون واكتشفت الصحف السوفيتية فجأة :لأنقسامات الداخلية في الصين بعد أن تجاهلتها عن عمد ، ونددت الصحف بالرجعيين الصينيين وقارنت الصحف بين الحكم السياسي في الصين والفاشية الالمانية ، وأزدادت هذه الحملات عندما اخذ يوم ٨ اغسطس سنة ١٩٤٥ بالاقتراب وهو اليوم الذى وعد فيه ستالين الرئيس روزفلت بالتدخل عسكريا ضد اليابان .

ووقع الهجوم في التاسع من اغسطس . وكان الامر لايتعلق بمعاملة اليابان بقدر ما يتعلق بتأكيد مركز روسيا في الشرق الاقصى وتوسيع منطقة فلاديفسك ذات الموقع الاستراتيجى الممتاز المتغلغل داخل منشوريا - او بتعبير اخر داخل الصين . وبطريق الصدفة ، كانت هناك قوات صينية في شمال الصين غير بعيد عن منشوريا . وقد استطاع ستالين بعد التقاء الجيوش الروسية مع الجيوش الصينية ان يتدخل في شئون الصين مباشرة وان يعوض الزمن الذى ضاع ابان الحرب .

ولم يبد ماوتسى تونج حماسا لهذه الحادثة . وكان على ستالين ان يتدخل في مشاكل الصين حتى رأى الشيوعيون الصينيون ان ذلك ضروريا . وقد اعتمدت الثورة في الصين على الإرادة الوطنية فقط . وتراجع ستالين خطوة وبينما كان يصر في بادئ الامر على احتلال الروس لمنشوريا تقدم ببعض المقترحات لتشجيع كاي شيك من اجل التفاوض حول شروط عودة منشوريا الى الصين وتدخل الأمريكيون بلورهم . فقد أرادوا مساعدة قوات الصين النظامية تجاه المطالب التى قدمتها اليابان التى كانت تحتل بعض مناطق الصين . وقد حرمت القوات الشيوعية مثل هذه المساعدة وادرك ماوتسى تونج الضعف النسبى لقواته .

وفي الرابع عشر من اغسطس سنة ١٩٤٥ وقعت المعاهدة الصينية الروسية ولكن الاحداث طغت عليها . فقد اوقفت اليابان الحرب .

وقد كانت هذه المعاهدة متعلقة بالعمليات الحربية ضد اليابان . أما فيما يتعلق بمنشوريا ، فإن تأكيدات ستالين لصهر تشيانج كاي شيك - سونج - بان القوات الروسية ستجلب عن منشوريا بعد ثلاثة أسابيع من استسلام اليابان - لم تكن تعتبر مضمونه .

وارغمت المساهلات التي حصل عليها تشيانج كاي شيك من الأمريكيين ماوتسى تونج على إعادة التفكير في موقفه ، فقبل عروض ستالين بالتعاون معه . وكان اهتمام ستالين ينصب على احتفاظ القوات الروسية بما حصلت عليه في منشوريا وان توصل ممارسة نفوذها القوي في الصين . وأفضل وسيلة لذلك هي الاحتفاظ بالتوازن الدقيق بين الحكومة المركزية وقوات بينان الشيوعية . وقد فعل تشرشل الشيء نفسه في يوغوسلافيا عندما أيد في نفس الوقت الحكومة الملكية وقوات تيتو .

وكان لابد من وقف تطور نفوذ ماوتسى تونج . وابع ستالين سياسة المراوغة فقد استخدم ستالين ماوتسى تونج كمقياس للسياسة التي مارسها تشيانج كاي شيك وتجنب ستالين تأييد الشيوعية الصينية . وكان ستالين يحاول تهدئة مشاعر الأمريكيين وفضل التعامل مع حكومة ضعيفة في الصين هي حكومة كومنتانج على أن يتولى الحكم ماوتسى تونج القوي .

وقد بذل ستالين مافي وسعه لاقناع حكومة الصين المركزية بوضع أسس للتعاون الاقتصادي مع منشوريا كخبرة . ولسكن تفنونكج أصمت أذانها . ولم يكن هناك حديث عن عقد أية اتفاقية قبل الجلاء التام عن منشوريا أو قبل انسحاب القوات الشيوعية الصينية من المدن والأقاليم التي جلبت عنها القوات السوفيتية .

وقد برهنت حوادث التمرد التي وقعت في مدن الصين الرئيسية على استياء الصينيين غير الشيوعيين من موقف روسيا في منشوريا . وكان ستالين يهدف الى تجنب الجيوش الروسية

التي تحتل هذا الجزء من أراضي الصين الكراهية التي كان السكان يشعرون بها تجاه اليابانيين .

وظل مبدأ الصداقة مع الصين باي ثمن هو الهدف الجوهري لسياسة روسيا في الشرق الأقصى . ومن الجائز ان ستالين كان يحتقر آراء الدول التي تدور في فلك السوفيت والتي لم يكن دورها يتجاوز تشكيل نطاق واق حول الاتحاد السوفيتي، الا أن شعوره تجاه الصين كان يختلف عن ذلك تماما . وبدأت دلائل العداء للاحتلال الروسي لمنشوريا تثير القلق . ولم يكن ستالين يخشى مستقبل الشيوعية في الصين فحسب وانما كان يخشى قبل كل شيء وفوق كل شيء ما سيصيب هبة روسيا في الصين وآسيا ولم تكن موسكو تشعر بالقلق حينئذ من النفوذ الأمريكي .

وكانت الولايات المتحدة في عام ١٩٤٦ تتبغ سياسة تتسنىم بالحدر استطاع الجنرال مارشال الأمريكي ان يدافع عن هذه السياسة ضد دعاة التدخل في الصين . ولذلك حاول ستالين جاهدة ان يكسب ود حكومة الصين المركزية .

وبعد ان قضى السوفيت على الصناعة في منشوريا قرروا الجلاء عنها لكي يبرهنوا على رغبتهم في التفاهم مع الصين وقد تم الجلاء بسرعة . . واعتقد ستالين ان جميع أسباب توتر العلاقات الصينية الروسية قد زالت . وقد اجاب ستالين على الاتهام الذي وجه اليه من ان القوة الصناعية في منشوريا قد حولت الى روسيا فقال ان منشوريا كانت جائزة حرب نالتها روسيا من اليابان التي حولت منشوريا الى بلد صناعي وكان هذا العمل خطوة احتياطية بضمان موقف روسيا ضد أي خطر من منشوريا اذا أصبحت خاضعة لحكومة معادية . وقد وعد ستالين على أي حال الصينيين سواء حكومة تشونكتنج المركزية او الشيوعيين بعهدهم بمعونة اقتصادية سوفيتية اذا ارادوا ذلك بدون أية شروط .

وقد ابلغ ستالين ماوتسى تونج ان الصناعات اليابانية السابقة في منشوريا وضعت تحت حماية السوفيت من اجل مصلحة المعسكر الشيوعى ، وانه عندما تصبح انصين شيوعية فان الاتحاد السوفيتى سيقدم لحكومة ماوتسى تونج المقبلة كل معونة اقتصادية وعسكرية تحتاجها .

وبعد ان قدم ستالين مثل هذه الوعود لحكومة الصين المركزية كما قدمها لزعماء الحزب الشيوعى الصينى . انتظر ان يقدم تشيانج كاي شيك على الخطوة الاولى من اجل التفاهم بين الصين والاتحاد السوفيتى . ولكن حكومة الصين المركزية لم تقدم على هذه الخطوة : بل بالعكس ، طلبت العناصر المحافظة فى تلك الحكومة من تشيانج كاي شيك ان يرفض جميع مقترحات الاتفاق مع روسيا - واصيب ستالين بخيبة أمل . فقد كان يأمل ان يمكنه عقد اتفاق بين بينان وتشونكنج من ان يستولى على السلطة المركزية فى الصين مع الزمن وكان هذا يتيح لروسيا تحاشى وقوع خلاف سريع مع الصين الموحدة اذا اصبحت تحت القيادة الشيوعية :

ولم يكن ماوتسى تونج بالطبع يعارض هذا الراى . ولكن دوافعه كانت تختلف عن دوافع ستالين . فقد كان ماو يأمل ان يتيح له الفساد والفساد الذى تسود الصين فى ظل الحكومة المركزية فرصة الاستيلاء على الحكومة بطريقة سلمية لتلقائية . ولم يستبعد ماوتسى تونج احتمال استسلام تشيانج كاي شيك وفى سنة ١٩٤٦ كان ماوتسى تونج فخورا بما حققه الحزب الشيوعى من تقدم ولكنه لم يتنبأ بالانهيار الكبير الذى سيؤدى الى سقوط الوطنيين وانتصار الشيوعية الصينية .

وقد عمل تشيانج كاي شيك على سرعة انهياره برفضه التعاون مع ستالين . ومع ذلك فقد اعتقد انه احسن التقدير . وراى ان أمريكا لن ترفض تقديم المساعدات له . وتوجه الى منشوريا لتفقدتها فى طائرة الجنرال مارشال الأمريكى الخاصة معتقدا انه

يستطيع التأثير على الشعب بأن يظهر له أن أمريكا القوية ستقف
إلى جانب الصين ماديا ومعنويا من أجل إعادة بناء كيانه ورفاهيتها
في المستقبل . ولكن كاي شيك أصيب بخيبة أمل . فقد أثار
تصرفه عداء سكان منشوريا الذين جربوا الاحتلال الياباني ثم
الروسي والذين كانوا يطمحون بالاستقلال التام وليس بنفوذ دولة
أجنبية أخرى حتى ولو كانت أمريكا ذات الموارد الضخمة ، وعاد
تشيانج كاي شيك إلى عاصمته وقد استحوذ عليه القلق والياس
وتدهور الموقف بسرعة إلى أن وصل إلى الفوضى وافلاس الحكومة
المركزية .

وتحول ستالين بعد ذلك إلى الشيوعيين الصينيين - وتغيرت
صورة العلاقات الصينية الروسية ، ولم يعد ستالين يصر على أن
يسمى ماوتسى تونج إلى التفاهم مع تشيانج كاي شيك .

وكان من الواجب أن يتأخر استيلاء الشيوعيين على الحكم في
الصين إلى أن تستعيد روسيا توازنها الاقتصادي وتتخلص من
متاعبها . وفي ذلك الحين تستطيع روسيا أن تمارس السيطرة
على الشيوعية في الصين . وأمر ستالين بتعطيل الصناعات في
منشوريا . ونقلها إلى روسيا . وكانت هناك مجازفة بأن تظل
حكومة تشيانج كاي شيك في الحكم فترة طويلة من الزمن إذا
جردت منشوريا من صناعاتها مصدر غناها . ولم يكن هذا يهم
الشيوعيين الصينيين الذين ظهر أن انتصارهم بات وشيكاً ، وبعد
أربع سنوات ، تمكنت قوات ماوتسى تونج من تحرير الصين
بأكملها . وقد تم هذا التحرير بفضل الأسلحة والموارد الحربية
التي أخذها الشيوعيون من الوطنيين .

وأمام هذه الحقيقة الواضحة . اعترف ستالين بقوة الشيوعيين
في الصين وبدأ الكرملين يستعد بحذر ولكن دون تحفظات أخرى
للاتفاق مع العناصر الشيوعية هناك . وانطوى تاريخ الحكومة
المركزية في الصين .

وقد استطاع ماوتسى تونج الذى كان يعارض فكرة التفاهم مع الحكومة المركزية ان ينتصر على العناصر الشيوعية التى كانت تميل الى التعاون مع الوطنيين . كما تغلب على آراء ستالين التى كان يعارضها وخاصة فى عام ١٩٤٥ عندما حاول زعيم روسيا ان يفرض على ماوتسى تونج فكرة التعايش السلمى . ومنذ ذلك الحين انطلق ماوتسى تونج قدما فى تنفيذ أهدافه .

وبالرغم من هذا كله فان ستالين لم يمنح ماوتسى تونج المعونة المادية والعسكرية والاقتصادية التى كان الشيوعيون بحاجة اليها لنجاح حملتهم الاخيرة ضد الوطنيين . وقد اضطر ماوتسى تونج الى ان يدبر الامر معتمدا على ما بين يديه من موارد . وقد سهلت مهمته بفضل الاحداث وخاصة بسبب اخطاء خصومه وادراك ستالين غلطته بعد سنوات ، واصبح فى امكان ماوتسى تونج ان يدعى انه انتصر دون ان يكون مدينا بشئ لاختيه فى العقيدة ستالين .

وكان لماوتسى تونج عدد من الحلفاء الاقوياء ليس لهم صلة بالاتحاد السوفيتى وهؤلاء الحلفاء هم ، التضخم وغواقبه ، والزعماء العسكريون الكبار فى حكومة الصين المركزية . وقد ادى شلل الحياة الاقتصادية بعد الحرب والزيادة المطردة فى ميزانية الدفاع لدى الحكومة الوطنية الى حدوث تضخم اكتسح كل شئ فى طريقه ومع ان هذا جلب الثروة لعدد من المضاربين فانه جلب الشقاء للفلاحين وكذا الطبقات العاملة وبلد الرعب بين افراد الطبقة الوسطى وادى التضخم ايضا الى دمار عدد من الصناعات الصغيرة والمتوسطة وافلاس التجار وبأس العمال وبالتالي فتح ابواب الصين الشيوعية لماوتسى تونج . فقد شن ماوتسى تونج حملته وتجنب المعارك الفاصلة والمغالاة فى الاعمال العسكرية .

واستطاع تيار الشيوعية ان يجرف كل شئ ، مدينة بعد اخرى وقرية بعد اخرى . وبالتدريج شكل الشعب بأسره طابورا

خامسا قويا . وشعر ماوتسى تونج بارتياح كبير عندما أبدته أغلبية الطبقة البورجوازية .

وازداد عدد مؤيدي الزعيم الشيوعى الصينى عندما تمسك بالناحية الاصلاحية لحركته وليست الاستبدادية . فضلا عن هذا فان تدخل الولايات المتحدة وما كانت تقدمه من مساعدات لحكومة المركزية كان يزيد من هياج الجماهير وسخطها .

وقرر ماوتسى تونج اخيرا ان يبدأ الاصلاح الزراعى وهوى طريقه الى الجنوب . وقد انهارت قوات حكومة كومنتانج المركزية عندما علمت بهذا القرار وانضمت الى الشيوعيين بالالاف ومئات الالاف ووصل الامر الى حد استسلام معظم قادة الجيوش الوطنية للشيوعيين مع عدد كبير من قواتهم .

واليوم ، نرى هؤلاء على رأس عدد من المنظمات الشيوعية يحتلون مناصب رفيعة فى الجيش الشعبى . وقدم ارباب الصناعة مصانعهم وخدماتهم للحكومة الجديدة بعد ان وثقوا بعود الشيوعيين ولم يخسروا شيئا فى ذلك خاصة وأنهم كانوا لا يزالون يواجهون التضخم .

وأصبحت الصين فى عام ١٩٤٩ فى أيدي الشيوعيين .

الفصل الرابع

صراع الايديولوجيات

بدأت روسيا ثورتها في عام ١٩٠٥ . ولكن هذه الثورة السابقة لاوانها فشلت ، وكان على روسيا ان تنتظر حتى عام ١٩١٧ لاتمام هذه الثورة . وأما الصين فقد اعلنت الجمهورية في عام ١٩١٢ بزعامة صن يات صن الذي كان بورجوازيا ثوريا . وكان لينين يقدره حق قدره ويعتبره احد البورجوازيين الواعيين المثقفين . ولكن لينين لاه بسبب افتقاره الى الجراءة والى التفاهق السياسى وتمسكه المفرط بالامانة والصدق . وانتظرت الصين حتى عام ١٩١٧ لتكتشف قوة الشيوعية العاتية .

وفى عام ١٩٢١ انشئ الحزب الشيوعى الصينى . واصبح هذا الحزب الحليف الرئيسى لصن يات صن . وكما ذكر لينين فان تاخر الصين فى القيام بثورتها يعود الى بطء التصنيع فى الصين ولما وجد الدافع ، بعد اضرابات العمال وفشلها ، اتجه ماوتسى تونج زعيم الحزب الشيوعى الصينى بدعايته الى جماهير المزارعين . وفى هذه الفترة ، قضى ستالين بقسوة على معارضة الفلاحين . وبعد زحف طويل التجأ ماوتسى تونج ورفاقه الى ولاية شنشى الشمالية فى خريف عام ١٩٣٥ . وكان لدى هؤلاء متسع من الوقت لدراسة المشاكل الزراعية ومعرفة اسبابها الاصلية .

وعندما قرر ماوتسى تونج فى اعقاب الحرب العالمية الثانية

ان يفتح الصين امام الشيوعية ، وجد وضعاً يختلف تمام الاختلاف
عن ذلك الذى واجهه لينين فى عام ١٩١٧ .

فقد كانت روسيا القيصرية تضم طبقة من الفلاحين ، وطبقة
عاملة صغيرة ، وطبقة وسطى محدودة وسيئة التنظيم وطبقسة
ارستقراطية قوية ،

اما الحال فى الصين بعد ثلاثين عاما حيث كان التقدم الاقتصادى
محدودا وكذلك الخدمات الاجتماعية فكان كما يلى : كان الشعب
يتألف من اصحاب الاراضى وكبار التجار وافراد الطبقة الوسطى ،
طبقة الفلاحين ومتوسطى الحال وطبقة العمال وشبه العمال .

وعندما بدا الهجوم الكبير ضد تشيانج كاي شيك زحف
الفلاحون والعمال كرجل واحد . وهذا يتفق مع واقع الامور ولكن
أغلبية الطبقات الاخرى اتبعت هذه الحركة ايضا . ولم يكن
باستطاعة ماوتسى تونج ان يخدع نفسه . فقد كان يعلم ان الاجماع
الذى حصلت عليه حركته لم يكن نتيجة ادخال الشيوعية فى اذهان
الشعب بقدر ما كان تعبيرا عن استياء الشعب غير المحدود من
الفساد الذى كان يعم حكومة تشيانج كاي شيك . ولم تكن
الايدىولوجية ذات اعتبار عند غير أعضاء الحزب من انصار ماوتسى
تونج وكان هؤلاء يتشوقون الى تغيير الامور . ولم يكن أعضاء
الحزب الشيوعى الصينى قد درسوا مبادئ ماركس ولينين الا
من قبيل الواجب فحسب ، والشئ الهام فى هذه الناحية هو
الجانب العملى والاستراتيجى للثورة التى تشبه حملة عسكرية
امتدت طوال ثلاثين عاما . ولم تترك الاخطار والحملات والحاجة
وقتا للقيام بدراسة جديدة للماركسية واللينينية أو الستالينية .

وقد عاد أنصار الحزب الشيوعى الصينى الذين ذهبوا الى
الاتحاد السوفيتى فى جولات للحصول على معلومات او للاتصال
بالشيوعيين الروس عادوا الى الصين مستائين وهم يشعرون بخيبة

امل . وقد كان هؤلاء رجال حرب بينما كان الشيوعيون السوفيت مجرد بيروقراطيين عنيدين . وكان الصينيون يرون أن الشيوعية الصينية لا زالت في دور التكوين ، ولم تكن الشيوعية الروسية المصطنعة لتثير حماسهم . وقد استاء الروس بدورهم من الشيوعيين الصينيين الذين لم يكونوا يعرفون في الواقع شيئاً عن المذهب الماركسي والذين كانوا يقومون حينئذ بتجربة تنطوى على كثير من الأخطاء .

واستطاع الطرفان حينئذ أن يدركا أن التناقض بينهما أدى إلى تعارض الفكرتين الشيوعيتين الروسية والصينية .

وكان عقد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي - والجهود التي قام بها السوفيت للقضاء على آثار ستالين أول محاولة من قبل الكرملين لازالة المصاعب القائمة بين الروس والصينيين على المستوى الأيديولوجي .

ولم يكن من السهل بالنسبة لخلفاء ستالين الاعتراف بالسيطرة الأدبية لماوتسي تونج الذي كان يعتبر في أعين الصينيين بمثابة لينين وستالين معاً . ومنذ انتهاء الحرب الوطنية الكبرى ١٩٤١ - ١٩٤٥ عاد الروس إلى القومية الأصلية التي كان الحكم القيصري يشجعها ويمارسها .

وقد ظل الروس في عهد ستالين ومن بعده قوميين من ناحية الشعور والنطق وهو اتجاه حاربه تروتسكي دائماً ، وكان ستالين وخطاؤه من بعده يرون أن الأحزاب الشيوعية في الخارج واسطة لاغاية وقد أدى انتصار الحزب الشيوعي الصيني السريع التوسع إلى قلب تقديرات الكرملين راساً على عقب . وقد حاول الروس في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي اضعاف مكانة ماوتسي تونج عن طريقة فضح ستالين ونحط من شأنه . ولم يكن باستطاعة الصينيين تحمل الإهانة بهذه الطريقة ، فاما

أن يكون مبدؤهم الشيوعى صحيحا واما أن تكون عبادة الفرد قد لطخت هذا المبدأ كما لطخت الشيوعية الستالينية .
وعكف خروشوف بعد ذلك على دراسة وسائل توحيد الاتجاهات والأساليب الخاصة بإزالة الخلاف المؤقت بين الشيوعية فى روسيا والصين وبالسبر من جديد جنبا إلى جنب . وما كان لهذا التخطيط الأيديولوجى أن ينجح دون الإقدام على تساهل كبير واتخذ خروشوف الخطوة الأولى فى هذه الناحية ولكن الصين أصمت أذناها . واستطاعت الحضارة الصينية التى تبلغ من العمر خمسة آلاف سنة أن تسحق الحضارة الروسية التى لا يزيد عمرها عن خمسة قرون ..

ولم يكن الشيوعيون الصينيون يرغبون فى أن يستوحوا من الشيوعية الروسية سوى نتائجها الفنية . وقد سلك الاتحاد السوفيتى من الناحية الأيديولوجية طريقا سخيلا وغير منطقي .
أما بالنسبة لخبرة الثوريين الروس العملية فى عام ١٩٥٥ ، عام ١٩١٧ فلم يكن لهم فائدة لرجال ماوتسى تونج للحباريين وكان الصينيون يرون أن المسألة ليست مجرد خلاف مؤقت وإن هناك خلافا جوهريا فى الموقف بين الثورتين الروسية والصينية . وفى عام ١٩١٧ وحتى عام ١٩٢٢ كان البلشفيك قد استأصلوا جميع آثار البرجوازية . وقد لقي رجال الصناعة والصحاب المتاجرنفس المصير وأرسلوا إلى المنفى . وكانت النتيجة كارثة على روسيا وعلى الشيوعية آنذاك : وقد انتشرت المجاعة وتوقفت الصناعة وانتشرت البطالة وعم السلب والنهب والفوضى . وأعلن ستالين « السياسة الاقتصادية الجديدة » . بقصد بعث النشاط الاقتصادى وأحياء الأمل فى النفوس ..

وفى هذه الأثناء فقدت روسيا سنوات مزدهرة واقتربت الشيوعية من الإفلاس التام . ولا زالت روسيا بعد أربعين سنة تعاني من آثار هذه السياسة القصيرة النظر . حقا ، أن التصنيع الذى فرضه ستالين غير معالم روسيا . وامتثلت الصين أنها تستطيع أن

تصبح دولة صناعية فى مدى ربع قرن . وعدا ذلك ، فان الصين تبينت خطأ بعض الاساليب :الثورة الروسية فرغبت فى ابراز ذلك على أساس انه مثل سىء . وقدم الشيوعيون الصينيون اساليبهم المرفقة المفيدة ليدرسها الروس . وكان الاوان قد فات بالنسبة لروسيا للاستفادة من هذه الاساليب ، ولكن الاساليب الصينية ربما كانت ذات نفع فى دول البستار الحديدى او الدول المتخلفة

ونصب الشيوعيون الصينيون انفسهم حماة للدول المتخلفة لنفس السبب الذى من اجله فعل الاتحاد السوفيتى ذلك . وقد اصر شو اين لاي وليو شاوتشى على هذه المسألة فى اجتماعهما مع خروشوف وبولجانين ، ولم يخفيا عزمهما على استخدام قوة الصين الصناعية التى كان السوفيت يديرونها حينئذ لمساعدة الدول المتخلفة مثلما كان يفعل الاتحاد السوفيتى . وبلغ بهم الامر الى حد ان الصينيين اعلنوا انه اذا كان الشعب السوفيتى قد ضحى فى عهد ستالين بحاجته الى البضائع الاستهلاكية من اجل مواجهة ضرورات الدفاع الوطنى فيجب فى عهد ماوتسى تونج - التضحية بجزء من المواد الاستهلاكية الصينية فى سبيل سد حاجات الدول المتخلفة . وقد اثار هذا الاصرار على موضوع الدول المتخلفة قلق الكرملين الذى ثار لذلك واصبح من الصعب تهدئته : فقد بدأت الصين تهتم اهتماما بالغا بالعالم الخارجى .

وكان على خروشوف والكرملين الاعتراف بالحقائق . وكان الصينيون فى موقف يتيح لهم حق المساهمة فى وضع خطة سر لشيوعية العالمية . وبدأت موسكو تشن حملات كبرى فى الشرق الاوسط والهند واندونيسيا والشرق الاوسط فى الموضوع هو ان موسكو اخذت تخفى خطتها الدبلوماسية عن بكين مثلما فعلت الصين مع روسيا اثناء معالجتها لمسألة التبت ..

وكان التنافس السلمى الذى تحدث عنه خروشوف بين
الراسمالية والاشتراكية قد وجد فعلا داخل المعسكر الاشتراكى
نفسه بين الروس والصينيين . وظهر هذا التنافس منذ عام ١٩٥٤
فى الميادين السياسية والايدىولوجية والاقتصادية ومع ان النظم
الشيوعية فى الصين وروسيا قامت طبقا لايدىولوجية واحدة
الا انها فى الواقع تحمل فى طياتها ايضا كثيرا من أوجه الاختلاف .
وفى مايو ١٩٥١ تم للصين احتلال التبت . وبذلك
امتدت امبراطورية ماوتسى تونج الى حدود الهند وأفغانستان .
واقتربت من المشرق الاوسط . ومع ان الصين لم تكن منظمة
وكانت قد تخلصت لتوها من اليابانيين والحروب الاهلية -
الا انها اصبحت اخيرا دولة كبرى .

وكان على ستالين لمصاب بدء عدم الثقة الزمن ان يحاول
كشف الغموض الذى يحيط بحليفته الايدىولوجية الكبرى : الصين
.. وكان ماوتسى تونج يعتمد على فترة سلم طويلة لينظم
امبراطوريته ، ولكن لم يكن لديه متسع من الوقت ..

فى شهر مايو ١٩٥٠ اتمت القوات الشيوعية « تحرير »
شبه قارة الصين واستولت ايضا على جزيرة هاينان ثم لم تلبث
ان نشبت حرب كوريا فى ٢٥ يونيو ١٩٥٠ ..

ولجأ ستالين ذو المبدأ الميكافلى الى تفجير جهازه الجهنمى
الجديد . وكان من الواضح ان المسألة الكورية موجهة ضد
نفوذ واشنطن فى المحيط الهادى ..

وأصبح هذا النفوذ موضع امتحان فى طوكيو وفورموزا
والفلبين وجنوب شرق آسيا . ومع ذلك فقد راحت الصين
الشيوعية أول ضحية لحرب كوريا ..

وكان الجميع يتساءلون عن السبب الرئيسى الذى جعل

الكرملين يوحى للكوبيين بالزحف على سيول ..

وكان ستالين كثير الشكوك وظل كذلك فترة طويلة من الزمن، وكانت سياسته تقوم على الذكاء السلبي . وبينما كان تروتسكى يتطلع إلى الامام وينتقل من دافع إلى دافع نحو مستقبل لم يكن في استطاعته التحكم فيه بسبب جرائه الشديدة ، فان ستالين كان على عكس ذلك تماما ، فقد كان منطويا على نفسه لايميل إلى التوسع ، وكان يحسب حساب حركاته وسكناته على ضوء حركات خصومه وسكناتهم أو ما يتوقعة منهم من تصرفات . وكان ستالين يشعر بارتياح عندما تتحقق إحدى خطته رغم ما يصادفه من عقبات حقيقية أو وهمية وكان لا يثق بالآخرين كما كان لا يثق فى نفسه .. وكان ينسب لخصومه - من أفراد أو دول أجنبية - امكانيات اكبر من الواقع . وبفضل ذلك استطاع ان يبقى .. وبالنسبة لهدف ستالين الاكبر - ولارضاء مطامحه الشخصية - فانه كان يرى أن غزو العالم أقل أهمية من تمسكه بدوره التوجيهى داخل الاتحاد السوفيتى والمعسكر الشيوى .. وفى دفاعه عن نفسه ضد زوجة لينين التى كان يبالغ فى تقدير نفوذها على زعيم الثورة الروسية ، كان ستالين يستطيع أن يضم لينين إلى صفة . وبالتنازل لتروتسكى فى اللحظات المناسبة استطاع التخلص منه .

وعندما اودع نفته كلها فى توخاتيفسكى عاد فسبحها منه بصورة وحشية وجعل نفسه كما لو كان ضحية هذا المارshall الشاب ..

ولم يكن ستالين يحتمل المنافسة الداخلية ، ولكنه اعترف بوجود روزفلت وتشرشل وحتى هتلر . وكان هؤلاء جميعا أعضاء فى المعسكر الآخر ، وكانوا يضايقون بعضهم البعض ولكن نفوذهم وقوتهم أو غباؤهم لم يكن يضايق ستالين وما كانت خيالة

ستالين لتطبيق وجود منافس له داخل الاتحاد السوفيتى او العالم الشيوعى وتحمل ستالين التلاميذ والاتباع الذين كان من السهل قيادتهم مثل زادتوف ومالينكوف .. ولكن كان عنده كراهية صيانية لنظرائه من غير الروس مثل تيتو الذى كان اول نضجيه او كان على الاقل ضحية مؤقتة ولكن تيتو استطاع فيما بعد ان يرد على ستالين بنفس طريقته . ووجهت الى ديتمتروف ايضا تهمة كاذبة وهى انه كان يريد منافسة ستالين ولذلك اختفى من المسرح

وجاء دور ماوتسى تونج .. ولم تكن متفاوت ستالين مبالغا فيها للوهلة الاولى . فقد واجه عملاقا على راس حزب كبير ودولة مترامية الاطراف . وقد كان تيتو شخصية قوية ولكنه يتزعم دولة تضم ١٨ مليون نسمة فقط وهى حقيقة اسف لها الزعيم اليوغسلافى .. وكان يحلم بتوحيد البلقان تحت حكمه . وقد حقق ماوتسى تونج حلما اكبر من ذلك بكثير ، فقد انشأ امبراطورية ضخمة . وفى خلال بضعة اشهر خضع لسيطرة ماوتسى تونج ستمائة مليون نسمة . وفى خلال اشهر اصبح الحزب الشيوعى الصينى اكبر واكوى الاحزاب الشيوعية فى العالم ، واكثرها شسبابا ..

وفى شتاء ١٩٤٩ - ١٩٥٠ قام ماوتسى تونج بزيارة لستالين . وقد بقى ماو فى الكرملين اربعة اشهر بعد ان اتخذ احتياطات ضد اى مفاجأة غير سارة قد تقع فى غيابه واستطاع الزعيمان ان يفهما بعضهما البعض . ولم يعرف ماوتسى تونج شيئا جديدا عن ستالين ولكن الزعيم الصينى ادّعى ان الزعيم السوفيتى فى كثير من النواحي فقد اذهل ماوتسى تونج ستالين بنموه الادبى واساليبه العالية ومرونته وصبره وخاصة بأرائه الواسعة بشأن المستقبل .. ورأى ستالين ان ضيفه ليس مجرد نظير له بل سيدا . وقد انتعش ثنين وعاد الى الحياة . وهذا رأى ستالين فى ماوتسى تونج - ولم

يعد يجدى المضي في المرافعة . ومن ستائين باطول فترة من الحزن والفم ثم اعد خطته .

وفي الخامس والعشرين من يونيو ١٩٥٠ علم ماوتسى تونج وقد اعتراه الذهول أن قوات كوريا الشمالية قلمت بغزو كوريا الجنوبية وزحفت على سيول . وبطبيعة الحال ، أرسلت أسلحة سينية الى كوريا الشمالية فى أوائل ١٩٥٠ لجيش كوريا الشمالية الشعبى . وكان من المنتظر حدوث قلاقل على جانبى خط التقسيم ٣٨ نتيجة لرحيل القوات الامريكية ، ولكن هجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية اخذ بكين على حين غرة . . . فاقصمت سلطات بكين على الفور بالكرملين . وتظاهرت موسكو بالدهشة ايضا ، ولكن كان من العسير تصديق أن زعماء كوريا الشمالية شنوا العدوان على حكومة سنجمان رى دون استشارة موسكو أو بكين قبل الاقدام على هذا العمل .

وعلمت بكين أن «بعض» زعماء روسيا أخطروا بهذه العملية ولكنهم فشلوا فى تحييدهم زملاءهم فى الصين فى حينه . . . وكان ستالين يبدو مندهشا أكثر من غيره . ومع أنه لم يكن يسمح لرووسيه بالاقدام على أى خطوة مهما صغر شأنها دون اذنه إلا أنه لم يتخذ أى اجراء ضد الزعماء السوفييت المعنيين بالامر .

وأدرك ماوتسى تونج - وربما جاء هذا بعد قوات الاوان - أن جمهورية الصين الشعبية قد ووجهت بحقيقة واقعة من جانب اخوانها فى كوريا وابناء عمها فى موسكو . ولا كانت الصين ترى أن الضرورة تقضى بأن تظهر للعالم أنها حريصة على وحدة العالم الشيوعى فانها امتثلت لموسكو بعد أن قرر الكرملين تقديم كل معونة ضرورية لكوريا الشمالية . وكان على الصين أن تقدم للجانب الأكبر من هذه المعونة . . .

ان تطور وتقلب الحرب الكورية أمر معروف والنتيجة

المحددة لهذه العملية الدموية هي ان الصين اضطرت الى تأجيل تطورها الاقتصادي والاجتماعي . والعسكري عدة سنوات ثمينة .. وقد دفع ماوتسى تونج ثمننا غاليا مقابل تلك الجريمة المزدوجة وهي انه يملك عقلا خاصا به ، ولاستيلائه على السلطة بسرعة اكبر مما توقعها ستالين ..

وفي هذه الاونة اتفق غضب ستالين مع مصالح روسيا الدائمة والعاجلة .. وكان الروس حينئذ قد فرغوا تورا من اعادة بناء بلادهم ولكن اقتصادهم كان لايزال ضعيفا وكانت الولايات المتحدة متفوقة عليهم في المجال اللرى فى عام ١٩٥٠ ولهذا فلم يكونوا تواقين بان تكون لهم جارة شيوعية كبرى موحدة مثل الصين ، لها نفوذها فى اسيا - نفوذ شعب كبير اعطى لنفسه حكما شيوعيا يتفق وحاجات اسيا ويحكمه فيلسوف وشاعر وفق افضل تقاليد كرنفوشوس .

وكانت الولايات المتحدة هي الضحية العاجلة لهذه النفوذ ، ولكن روسيا أصبحت الضحية الاخيرة . وهكذا ، بعد عام من المسالة الكورية ، أدركت موسكو وكلها دهشة ان يكن تفاوضت مع التبت التى اعترفت بسيادة الشيوعية الصينية .. وأدرك الكرملين ان ماوتسى تونج قام بأول خطوة خسوفاً من أن يرى الشيوعيين فى التبت وقد أصبح لهم كيان مستقل وان يعلنوا تشكيل جمهورية شعبية للتبت الخارجية مثلما حدث فى جمهورية منغوليا الخارجية - التى كانت لاغراض إستراتيجية تابعة مباشرة لموسكو ..

أصبحت العلاقات بين موسكو وبكين تتسم بالتحفظ .. وعندما سويت المشكلة الكورية راحت الصين تفكر فى اعادة تنظيم وبناء نفسها . ولكن كانت هناك حرب قائمة على حدودها الجنوبية : وهى حرب الهند الصينية . ومع ذلك فان هوتشى منه كان أعقل من حكام جمهورية كوريا الشعبية . فقد كان هوتشى منه يتبع سياسة مستقلة عن ستالين واستمع لنصح يكن ..

وفي ذلك الحين مر العالم الشيوعي بأكبر أزماته التي أثارتها
هوس ستالين وحبه للاضطهاد . وبعد أن شعر زعيم الكرملين أن
زعما الشيوعية من غير الروس - تيتو وماوتسي تونج وهوشو
منه خرجوا من تحت سيطرته - عمل على مهاجمة أتباعه في
الدول الديمقراطية الشعبية في شرق أوروبا فاعدم وسجن وأجك
وجومولكا وأنا بوكر وغيرهم ..

وعند ما مات ستالين شعر المعسكر الشيوعي أن روسيه
قد فقدت شيئاً من مكانتها منذ ذلك الحين أخذت بكين هامل
موسكو معاملة النذ للنذ ، وكان الروس الذين بدأ ماوتسي تونج
يفادهم هم تلاميذ ستالين ، مثل مالينكوف وبولجاني
وخروشوف وميكويان .

ولم يعد هناك داع للهاب ماوتسي تونج الى موسكو . فقد
كان على زعماء الكرملين الجدد أن يزوروا ماوتسي تونج الباء
الجديد للعالم الشيوعي . ولم يتعجل ماوتسي تونج الامور وعرف
كيف يتجنب اذلال الزعماء السوفيت الذين مازالوا في أول الطريق
وامامهم صعوبات نجمت عن اختفاء ستالين الذي كان بوصف بأنه
لا بد له ولم يستطع ماوتسي تونج أن يدعى أنه الخليفة الروحي
المؤقت لستالين . فقد كان عليه أن يفكر في الصين أولاً . وكانت
الصين في عام ١٩٥٣ تفتقر الى كل شيء . ونتيجة للحصار الذي
فرضته أمريكا على الصين فقد كانت حكومة بكين في حاجة الى
الاتحاد السوفيتي الدولة الكبرى التي تستطيع مساعدتها في تجنب
الاختناق . ومن الواضح أن واشنطن لم تكن في ذلك الحين
تنتهج سياسة حكيمة وكان في استطاعة الولايات المتحدة التفاوض
مع الصين في المجال الاقتصادي واستغلال حالة الفوضى التي
عمت الاتحاد السوفيتي والعالم الشيوعي نتيجة وفاة ستالين

.. إن تستعيد بسهولة ما خسرت نتيجة سداختها وقصر نظرها .
ولكنها لم تفعل شيئا من هذا القبيل .

ووافقت موسكو على طلبات بكين . ولكي تستعيد روسيا جانبها من نفوذها فقد تمهلت بأن تزود الصين بمعونة اقتصادية ضخمة . . . ولكيلا تفقد روسيا ماء وجهها فقد كان عليها أن تساعد الصين على أن تصبح عملاقا ، وإن تكتسب صداقة هذا العملاق ، ولكن هذه الاماني لم تكن سوى الفاظ محشوة بالنفاق .

وقد انقلب التوازن الذي احتفظ به ستالين بين روسيا والصين داخل المعسكر الشيوعي لصالح الصين .

- ومنذ عام ١٩٥٣ ضاعف الصينيون سرعتهم في العمل . . . وعندما انتهت حالة الطوارئ الخاصة بكوريا وسويت مشكلة الهند الصينية في عام ١٩٥٤ اعتبر الصينيون أن حدودهم أصبحت في أمان . ولكن كانت لازال هناك مشكلة فورموزا التي تتطلب تسوية وكان الممكن استخدام مورموزة مادة للمساومة أو كوسيلة للمصالحة مع الغرب . كما أن مشكلة هونغ كونج كانت لا تزال أيضا باقية بدون حل . .

وسارعت بريطانيا العظمى الى الاعتراف بحكومة بكين والعهد الجديد ومقابل ذلك احتفظت بهونغ كونج . واصبح جبل طارق اسيا - هونغ كونج - يشكل احدى رئتي جمهورية الصين الشعبية . . . وقد اثارت العلاقات التي قامت بين لندن وبكين قلق موسكو . ولحسن حظ الكرملين ، فان وزارة الخارجية الأمريكية كانت تشعر بنفس القلق . واثبت هذا الشك المزدوج أن الصين صممت على أن تسلك طريقا دبلوماسيا خاصة بها . ووجدت الصين في بريطانيا شريكا كانت تنتظره منذ وقت طويل . ونظرا لان مصالح بريطانيا هناك كانت قد سويت منذ زمن وجيز ، فلم تبق نقاط خلاف وتوتر بين بكين ولندن كذلك التي اساءت الي

العلاقات بين الشعبين منذ أكثر من مائة عام . واستطاع الدبلوماسيون القدامى في العالم - الانجليز والصينيون - أن يبدأوا من جديد بسهولة . وقبلت الواقعية البريطانية استبعاد الشعوب الغريبة الدائم من أرض الصين . وكانت بريطانيا الدولة البيضاء الوحيدة التي احتفظت بجزيرة صينية بموافقة بكين .. ولم تتمتع روسيا نفسها بمثل هذا الامتياز ..

وقد حالت الاتفاقية الضمنية بين بكين ولندن دون عزلة الصين الشيوعية عزلة تامة . واعترفت روسيا والجمهوريات الشعبية الديمقراطية بذلك ولم تحاول روسيا أن تضمن الصين لدى الدول خارج المعسكر الشيوعي والتي للاتحاد السوفيتي علاقات حسنة معها . وقد ادى اعتراف لندن بالجمهورية الشعبية الصينية الى اعتراف عدد من الدول الغريبة بها . واصبح في مقدور بكين أن تنتهج سياسة مستقلة دون صعوبة وان تضمن لنفسها علاقات اقتصادية متينة في أنحاء العالم .

وكان الحصار الاقتصادي والسياسي الذي فرضته امريكا ضد الصين يخدم سياسة موسكو . فقد استفاد الروس من موقف الولايات المتحدة العنيد كي يظهروا أنفسهم بمظهر الأصدقاء الذين لا غنى عنهم للصين الشيوعية . كما أن فرموزا وتشيانج كاي شيك قدما خدمة غير مباشرة للكرملين . وكان وجود الصين الوطنية في الأمم المتحدة ومجلس الأمن حائلا دون قبول الصين الشيوعية في هذه المنظمة الدولية وقد اتاح هذا للاتحاد السوفيتي الفرصة ليكون الممثل الوحيد للعالم الشيوعي .

وعندما بسط ماوتسى تونج سلطانه في النهاية ، اعتقدت موسكو أن الصين ستطلب الى الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي السوفيتي تزويدها بالمدرين وكبار الموظفين ورجال الاقتصاد والمستشارين العسكريين .

ولكن ماوسى تونج اقتصر على طلب مستشارين عسكريين ومهندسين أكفاء وفرض على الجميع نظاما شديدا وأمرهم بالتقيد بواجباتهم الفنية . وفى الواقع لقد أرغم المستشارين المدنيين والعسكريين السوفيت على العمل الشاق دون أن تتاح لهم فرصة نشر آراء حكومتهم أو أن يكون لهم تأثير خطير على سياسة الصين .

وقد أضيف الى خيبة أمل موسكو هذه عدم استدعاء أى دبلوماسى سوفيتى لتنظيم وزارة الخارجية فى بكين . وقد حمل الصينيون التحالف الذى عقده فى ١٤ فبراير ١٩٥٠ مع روسيا على محمل الجد ولكن لم يكن هناك ما يدعو الى استخدام هذا التحالف ذريعة لى تخضع بكين لسياسة موسكو . ولم يسط الخبراء العسكريون السوفيت اية مناصب كبيرة ، ولم يسمح لهم بالاشتراك فى المناقشات السرية التى تجرىها هيئة اركان الحرب الصينية .

ومن ناحية أخرى كان على الروس أن يبذلوا جهوداً جبارة فى الانتاج الاقتصادى لسد حاجة الصين .

ومضى زعماء الكرملين قداما فى اعادة تنظيم الدولة والحزب واختاروا من يخلف ستالين بطريقتهم الخاصة . ولم يتضح الا بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى الروسى وبعد تصريح خروشوف المشهور ان الاتحاد السوفيتى لم يفقد سيطرته على للعسكر الشيوعى او على الصين فحسب بل انه منذ ذلك الحين فصاعداً اصبح لم يكن من النفوذ ما يكفى للتاثير على سياسة روسيا وموقف الحزب الشيوعى الروسى .

ولكن لا تزال روسيا بدون شك اقوى دولة اشتراكية تملك اكبر قوة صناعية وعسكرية . ولكن الاتحاد السوفيتى متخلف فى مسألة الايديولوجية - وخاصة عن الصين .

الفصل الخامس

امتنافس الاقتصادى

اوشك اتباع ستالين فى الصين أن يقضوا على ماوتسى تونج بسبب اصراره على تطبيق الشيوعية على المزارعين وليس على الطبقة العاملة . ولم تكن الصين فى القديم دولة رأسمالية بل دولة شبه استعمارية واقطاعية . وقبل استيلاء الشيوعية على مقاليد الامور - اى قبل عام ١٩٤٩ - كانت الرأسمالية متطورة تطورا ضيقا فى مجال الصناعة ولكن التقدم كان منعذما فى الزراعة . وكانت للصناعة الحديثة تشكل ١٠٪ من اقتصاد الصين الوطنى القائم على طبقة المزارعين وانتاج اصحاب الحرف من الصناعات . وكان رأس المال الاجنبى يملك العناصر الهامة فى الصناعة .

وقرر الشيوعيون الصينيون تحقيق الاشتراكية بأن يجعلوا اقتصادهم يجتاز مرحلة رأسمالية جديدة . اى اعيد تمهيد طريق الاشتراكية بالتجربة الرأسمالية ، واما الثورة الروسية فقد استأصلت بطريقة وحشية جذور الرأسمالية تاركة نفرة كان لا بد من سدها بالجهود الجبارة الامر الذى يتطلب تأخيرا مدته عشر سنوات فى تحقيق رأسمالية الدولة اليسوفيتية . وقد رغب الصينيون فى تجنب ايجاد هذه النفرة وهذا التأخير فى تحقيق الاشتراكية الحقيقية . وقد قرر الصينيون أن يسمحوا بقبول عدد من المشاريع الحرة تحت رقابة مشددة من الدولة الامر الذى اثار مخاوف ستالين واتصار مذهبه .

وفي ديسمبر عام ١٩٣٨ كتب ماوتسى تونج . يجب على الثورة الديمقراطية الجديدة أن تضع رأسمالا كبيرا تحت ادارة الدولة ، وفي الوقت نفسه يجب عليها أن تحافظ على المشاريع الرأسمالية الخاصة بصفة عامة وأن تتحاشى الغاء اقتصاد الزارعين الاغنياء . وهذا النوع الجديد من الثورة الديمقراطية سيفتح المجال أمام الرأسمالية ولكنه سيوجد ظروفًا ملائمة للاشتراكية .

وهكذا أراد ماوتسى تونج أن يكافح النار بالنار . فزرع جرثومة اصطناعية من الافضل ازلتها . وأنشأ طبقات . كان من الافضل اثبات عدم جدواها . وهذه الطريقة الجريئة في التفكير يتبعها جراحة أكثر في تنفيذ الخطة . واشترك ستمائة مليون صيني في هذه التجربة الفريدة من نوعها . وارتفعت فرائض الكرملين ، فقد كان هذا أكثر من هرطقة وخروج على المذهب . وكان انحراف تيتو تافها إذا قيس بانحراف الصين . وقد أدت لجان الادارة التي أنشأها تيتو الى صدور قرار من موسكو ضد الحكم اليوغوسلافي . ولكن كان لا بد لستالين وتلاميذه من التفاوض عن تجربة ماوتسى تونج وعدم اظهار السخط عليها . وكان من الواضح ان الشيوعية الصينية استفادت فائدة مزدوجة : فهي قد استفادت من تجارب الشيوعية الروسية وتجنب أخطائها الفادحة ، وطبق في مجال الايديولوجية العامة ثروات الخيال والدهاء والدكاء التي عرفت بها الصين منذ خمسة آلاف سنة . وقد ذهل ستالين عندما عرف برنامج ماوتسى تونج النهائي : ان الديكتاتورية الديمقراطية الشعبية في الصين هي سلطة الدولة المؤلفة من جبهة متحدة تضم الطبقة العاملة الزراعين ، والطبقة الوسطى البسيطة والبرجوازية الوطنية والعناصر الديمقراطية الأخرى في الصين .

وكان هذا كله بعيدا عن النظام السوفيتي الذي فرضه ستالين وقد فوجئت موسكو بالبرنامج الصيني . وقد استطاعت الشيوعية الصينية أمام عالم رأسمالي كاتب فيه فريسة الاختلاف والاضطراب

ان توجد ان لم يكن حلا - فعلى الاقل مشروعا مغفريا يستحق الدراسة والتعديل والتطبيق وفقا للوضع الداخلى للبلدان او الاحزاب فى انحاء العالم التى يعينها الامر . وفى نفس الوقت فان التجربة السوفيتية التى باتت غير جذابة بفضل طول عهد ديكتاتورية ستالين - تضاءلت أمام التجربة الصينية التى كانت منطقية وجوهرية . وراح الفلاسفة الماركسيون فى روسيا وغيرها من الدول يتشاورون بسرعة . ولكن هذه المشاورات لم تؤد الى شئ وسارت الصين فى تجربتها سواء رضيت موسكو أم كرهت . وكان هذا بمثابة هزيمة للكرملين لم يسبق لها مثيل . وانتصرت الاشتراكية الصينية بطريقتها الخاصة وأضر ذلك بالمبادئ اللينينية - الستالينية العقيمة .

وظهر مبدأ شيوعى جديد فى أفق الشرق - داخل سور الصين العظيم .

وبعد موت ستالين ، كان هناك رأيان فى الكرملين حول الوضع فى الصين ، ففى ناحية : كان هناك أنصار فكرة التبرؤ فورا من الشيوعية الصينية ، وفى ناحية أخرى كان هناك من يفكر فى ضرورة الاعتراف بالحقائق . وقد انتصر أصحاب الرأى الثانى . وكانت الرحلة التى قام بها خروشوف - وبولجانين الى بكين تؤيد هذا الاتجاه . ولكن على الرغم من أن المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى نادى بازالة مذهب عبادة الفرد وبذلك حاول مهاجمة العملاق ماوتسى تونج فإنه فى الوقت نفسه قلل من شأن العقدة الستالينية ، وقد بعث هذا كثيرا من السرور فى نفس زعيم الشيوعية الصينية . وفى بكين قبل الزعماء السوفيت شروط الصين دون جدال . وأعلن ان المعونة الاقتصادية السوفيتية للصين ستستمر كما كانت فى الماضى ان لم يكن أكثر . ومقابل ذلك تعهد زعماء الصين بتأييد خروشوف وتلعيم مركزه فى الحزب الشيوعى

السوفيتي في وجه حصومه الذين كانوا من انصار سياسة التتشد
ازاء الشيوعيين الصينيين .

وقد اتاحت هذه المصادفة السعيدة الفرصة للقضاء على الجماعة
المنافثة للحزب الشيوعي السوفيتي في صيف ١٩٥٧ . واعتقد
خصوم خروشوف ان التنديد بانصار ماوتسى تونج قد يؤدى الى
حركة انفصال هامة بين الشيوعيين الصينيين تعارض سياسة
زعيمهم الناعمة وتؤدى ايضا الى جمع شمل العناصر الستالينية
من جديد مما قد يترتب عليه اعادة بعض النفوذ الى موسكو
والحزب الشيوعي الروسى ولكنهم كانوا يخلعون انفسهم .

وكان ماوتسى تونج يعتزم في مثل هذه الحالة ان يضرب يده
من حديد على المتمردين وان يتحول الى لندن - ليطلب من الغرب
باستثناء الولايات المتحدة مده بمعونه كانت الصين فى حاجة ماسة
اليها ، وهنا لم يكن ماوتسى تونج لينردد في تقديم مقترحات مغرية
الى تشيانج كاي شيك يؤكد له فيها انه سيبتعد عن جزيرته .
ولما رأى الأمريكيون فشل التخالف بين موسكو وبكين اظهروا
شيئا من الخيال في استغلال الموقف . ولكن خروشوف تعجب
الكارثة بما أبداه من تساهل ، واستطاع الركب الروسى الصينى
الروسى الصينى ان يستأنف سيره الى الامام .

وفي هذه الاثناء كان الجهاز الصينى يسير مسرعا لا يلوى على
شيء ، ففى مؤتمر باندونج ومؤتمر جنيف نصب الصينيون انفسهم
حماة لآسيا . ولم تكن رحلات خروشوف الى الهند وأفغانستان
كافية لازالة هذا الانطباع من أذهان الاسيويين . وقد تمكنت
روسيا بفضل حرب السويس وهزيمة الغرب فى الشرق الاوسط
ان تستفيد من ازدياد نفوذها فى الدول المتخلفة والمحايدة . وهكذا
تعقدت الخلافات العقائدية بين الصين وروسيا نتيجة الخلافات
السياسية والدبلوماسية . واصبحت موسكو تدرك ان الصين
أصبحت فعلا من القوة بحيث لم تعد ملزمة باتباع سياستها

وقراراتها في السوق المشتركة للايديولوجية الشيوعية . وكان
شواين لاى يرى ان قيمة ستمائة مليون صينى اكبر بكثير من قيمة
مائتى مليون روسى . ولم تستطع بكين ان تنسى المسألة الكورية
فقد اندفع المتطوعون الصينيون لحماية كوريا الشمالية وحدود
الصين الشمالية وخدمة الايديولوجية الشيوعية في آن واحد . .
ولكن الروس لم يرسلوا رجلا واحدا ولم يكن الروس يرغبون في أن
يظهروا للاسيويين أنهم يحاربون عنصرا أبيض آخر هو الأمريكيون
وأما بالنسبة للصين ، فإن الأمريكيين لم يكونوا مجرد مستعمرين
وانما كانوا أيضا غزاة ينتمون الى جنس آخر . وهكذا ضرب
الصينيون الروس بأسلحتهم . وكانت الصين على ثقة من أنها
تستطيع ان تقوم بالهمة في آسيا بنفسها دون مساعدة من أحد .
كما كانت تعتقد أنها تستطيع ان تنظم وتحكم وتطور قارة آسيا
التي يملكها الاسيويون دون غيرهم من سكان الارض .

وفي ذلك الحين ، اكتشف خروشوف سيبيريا . وأراد ان
يجعل من تلك المنطقة الهائلة الخالية من السكان تقريبا - والتي لم
تستغل بصورة ثامة - روسيا ثانية - روسيا اسيوية تقسّم
للاسيويين معونتها ومشورتها . ووجه خروشوف نداء لشباب
روسيا طلب منهم فيه الذهاب الى «الدورادو» الجديد لتعمير
الجزء الروسى الهام من آسيا . ولكن شباب روسيا تظاهروا بعدم
سماع النداء وكان الشباب قد أصبحوا محافظين وطبقة وسطى .
ولم يكن هناك داع لتعبئة الشباب بالقوة او وضعهم في معسكرات
اعتقال ، لان هذا من شأنه أن يوجد انطباعا سيئا لدى الشعوب
الاسيوية التى بدأت تقتنع بمنافع الحضارة السوفيتية . وتبعت
بكين المناورة دون اهتمام . وأخذت القوة المعنوية للكرملين تهبط
شيئا فشيئا . وتبين للروس ان مالم تستطيع المانيا النازية اواى
بلد راسمالى آخر أن يفعله قد حققه اخوانهم «الصينيون» وكان
موقف الصينيين ازاء الرعيل القديم من الشيوعيين الروس الذين

لا يزالون على قيد الحياة هو القضاء عليهم قضاء مبرما .

وفي هذه الاثناء ، تطور الاقتصاد الصينى بسرعة كبيرة . وقد تعاون قطاعا الاقتصاد الوطنى : الرأسمالى وما تملكه الدولة — معا وفى نفس الوقت دخلا فى تنافس مفيد . وقد وجه الاقتصاد الصينى بحكمة . وكان الاتحاد السوفيتى لا يزال يحاول الانتهاء من انشاء طبقة الصناع . وفى الصين كان النشاط الحرفى مسموحا به ولم يكن احد يعتبر من أعداء الثورة . ورغم ان الحكومة الروسية كانت بتتبع على دست الحكم منذ أكثر من أربعين عاما . وكان التصنيع قد ازدهر ازدهارا عظيما ، فان البضائع الاستهلاكية كانت شحيحة مثلما كان عليه الحال قبل عشرين أو ثلاثين عاما .

ولقد ضمن الصناع فى الصين لبلادهم ولحكومتهم انتاجا معتدلا آتاه للسكان الحصول على ما هم فى حاجة اليه ريثما تتطور الصناعات تطورا أفضل .

وكانت حكومة الصين تبذل جهدها لكى تجعل الفترة الانتقالية محتملة من قبل الشعب لكى تتحاشى اثاره استياء الجماهير .

ولم تتخذ الشيوعية الستالينية مثل هذه الاحتياطات . ولذلك فان المهدوء النسبى للوضع الاقتصادى فى الاتحاد السوفيتى يعود الى حد ما الى ما كان للتجربة الصينية من تأثير على سادة الكرملين وقد أعجب الصينيون بما يتحلى به خروشوف وميكويان من روح الادراك العملى مما أوقع اليأس بفلاسفة الحزب الشيوعى السوفيتى الذين كانوا قد بدأوا خلال السنوات الاخيرة يفقدون مكانهم فى موسكو . وقد أصبح هؤلاء اليوم مجرد عناصر ثانوية فى الحزب بعد أن كانوا يثيرون الرعب ايان حكم ستالين وبعد وفاته . وليس الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى نواة ايدولوجية مثلما هو منظمة بيروقراطية تعالج بحماس المسائل اليومية ويمكننا أن نشعر هنا ايضا بنفوذ بكين .

ففى اثناء فترة البناء الاشتراكى - وهكذا يقول الفلاسفة الصينيون - يجب ان تعطى الاولوية للادراك العام ، ادراك الوقائع وعندما يتم هذا البناء يستطيع المرء ان يحلم ، او ان يطبق أحلامه .

وعندما تهب الرياح من سور الصين العظيم مرة أو مرتين فى السنة ، فانها تكتسح بعض الاشياء العفنة فى موسكو . وهكذا حدث التحول . وراح الراسماليون الصينيون يتدفقون على موسكو من بكين وناكينج وكانتون ، وقد ذهب هؤلاء لشراء بعض الاشياء لشبابريهم أو بيع منتجاتهم للروس . وقد اضطر المسؤولون الروس الذين كانوا منذ سنوات مضت يستقبلون الوفود الصينية من الحزب فى جو من المشاركة الودية - الى الترحيب هؤلاء الراسماليين الذين لا يعرفون شيئا عن الشيوعية بينما هم ليسوا اعداء لها بالفعل . وكان رجال الصناعة الصينيون الاغنياء والذين يرتدون الملابس المفضمة وينتمون لبلد شيوعى بمثابة التحدى الحى للجماعات الروسية التى ترتدى الملابس البالية . وكان الروس يشعرون بالدهشة حيال نوع الشيوعية التى طبقها ماوتسى تونج العظيم فى بلاده .

وكان الروس يظنون فيما قبل ان سور الصين العظيم لا يضم مثل هذه الاسرار العديدة . وهكذا ، انطلقت من الشرق حرية العقل .

ولكافة هذا الاغراء القادم من الشرق أو من الشرق الاقصى ، اعتمد زعماء الكرملين على ما حققه علماءهم من أعمال باهرة وعلى الصواريخ العابرة للقارات والاسلحة الضخمة . وعندما أبدى خروشوف نواياه فى هذا الامر جاء رد بكين سريعا : تعطى الاولوية للدفاع الوطنى ، ان استقلال البلاد رهن بقوة جيشها وتكن كان من العسير ان تشارك الجماهير الصينية فى هذا الرأى . وكان من

المستحيل اعلان ان استقلال البلاد مهدد بفضل قوة الاتحاد السوفيتى العسكرية الضخمة مثلما هو مهدد بأخطار الاستعمار الأمريكى . ولا زالت هناك أيضا فورموزا . وفى صيف عام ١٩٥٨ ثارت المشاعر عندما انصب الاهتمام على استرداد فورموزا والجزر المجاورة لها الى الوطن الأم . ولكن الحجة كانت واهية . وتحول الاهتمام الى ضرورة جعل الصين شريكة مفيدة للاتحاد السوفيتى ضمن المعسكر الشيوعى . وجرت بكين الاتصال بالجماعات المعادية للحزب الشيوعى فى موسكو . وفى هذه المرة لم يكن باستطاعة خروشوف ان يستسلم . وكان تفوق الروس العسكرية والصناعى هو ملاذ الكرملين الاخير . ولم تفكر موسكو على اى حال فى ان تشاطر الصين هذا التفوق .

وإذا عكفنا على دراسة عامة للأوضاع والعلاقات بين روسيا والصين منذ أن استولى الشيوعيون الصينيون على زمام الأمور لخرجنا بالحصيلة التالية :

ففى الناحية الأيديولوجية ، ركود تام . إذ أن النظام الصينى يختلف عن النظام السوفيتى ولكنه لا يناقضه الى حد يثير بلبلة خطيرة فى موسكو وفى جمهوريات أوروبا الديمقراطية الشعبية . وقد ازداد سعى جوموكا وزعماء المجر وراء المعونة والمشورة الصينية . ودون أن يجزؤ زعماء وارسو على محاباة بكين ضد موسكو فإنهم بدأوا يعارضون ما حدث فى موسكو ويضربون مثلا على ذلك بالأعمال والأقوال الصينية .

ولم يعد النظام الروسى هو القاعدة . فقد كانت الديمقراطيات الشعبية لا تزال تحتفظ بذكرى اليمّة قريبة من الإوتوقراطية الستالينية والبيروقراطية .

وكانت حصافة وذكاء الصينيين تناقض عجز الروس النفسى التام . ولم يكن ثمة من سبب يبرر احجام هؤلاء عن تحويل ثقتهم

من موسكو الى بكين ورفع مقام بكين بحيث تصبح العاصمة
الابديولوجية للعالم الشيوعي .

وفي الناحية السياسية تحولت الصين التي كانت تسودها
الفوضى والاضطراب ، في غضون عشر سنوات الى كيان واحد
 واصبحت ندا للاتحاد السوفيتي . وفي عام ١٩٥٤ كان في استطاعة
روسيا ان تنظر للصين على انها تابعتها الرئيسية . وفي عام ١٩٥٨ ،
ارتفعت مكانة الصين واصبحت شيئا آخر . وبدون ان تكون
الصين عضوا في الامم المتحدة ، فان الدول الشيوعية والراسمالية
كانت تشعر بأهميتها بل انها وسعت نطاق علاقاتها الدبلوماسية
والاقتصادية معها وكانت كل خطوة تتخذها بكين تثبت استقلالها
عن موسكو . ولكن الحقيقة الهامة هي ان جمهورية الصين الشعبية
بدأت تؤثر على القرارات التي تتخذها موسكو . وكانت هذه
حقيقة الوضع الذي يسود اخلاقات الروسية الصينية .

واكتشفت اقتصاديات البلدين بعضهما البعض عندما كان
الحصار الامريكي مفروضا على الصين . وحتى ذلك الوقت ، كان
هناك تبادل محدود بين البلدين . وكانت اليابان وبريطانيا العظمى
وبعض الدول الغربية الاخرى تصدر كثيرا من البضائع
الى الصين ولذلك كان هناك عجز دائم في الميزان التجاري
الصيني . وعندما قررت الولايات المتحدة ضرب حصار اقتصادي
حول الصين فقدت أمريكا مبعلا ممتازا تحول دون تردد الى منافسة
أمريكا وهي روسيا . ولم يؤد اقرار الامريكي الى شيء شائن في ذلك
شأن جميع القرارات المماثلة له . وابتداء من الحصار القسري
الذي فرضه نابليون الى الاجراءات التي اتخذت ضد ايطاليا
الفاشية ، فان القرارات السريعة انقلبت على من اصنوها . ولذلك
اعادت بريطانيا العظمى علاقاتها التجارية مع الصين حسب القادة
وبدلتا اليابان جهودا جبارة لاستعادة اسواقها في الصين . بأسرع ما

يمكن . ولن تعجز أمريكا عن اصلاح غلطتها في الوقت المناسب عندما تستطيع حفظ ماء وجهها .

وكانت الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية بين الصين وروسيا دقيقة وهي تنص على ان ترسل روسيا للصين اجهزة وآلات من أجل المناجم ، والمشروعات الكهربائية ومحطات التحول والتعدين كما تقدم لها ايضا وسائل النقل ، والآلات الزراعية والحبوب . . . وتسدد قيمة هذه الاشياء بواسطة القروض ذات الفائدة البسيطة التي تمنحها روسيا للصين . وتقوم الصين بدورها بتزويد روسيا بالمعادن والزيوت النباتية واللحوم والتبغ والشاي والفاكهة والصوف والجوت والحرير الخام والمنتجات الحريرية والجلود

وبعد مضي عشر سنوات من تبادل هذه البضائع التي كانت تزدد في قيمتها ، لاحظ الصينيون ان الروس لا يقدمون لهم هدية دون مقابل ، فان الاجهزة الصناعية التي كانت تحصل عليها الصين من روسيا كانت تكلف بكين كثيرا . ولذلك بدأت حكومة الصين في منع استيراد المنتجات الصناعية السوفيتية ، وعملت بكافة الوسائل على بناء صناعاتها من مصادر غير روسية او مستقلة وبدأت المعونة اليابانية والبريطانية تنهال على الصين . ولحين من الزمن اثبتت هونج كونج احققتها بلقب رنة الصين . وقد استاء الروس من نكران الصين للجميل . وكان الكرملين يعتبر ان تضحيات ابروس لا تقدر بثمن ، فقد احتضن الاقتصاد الروسي الاقتصاد الصيني الحديث العهد بين زراعيه . ولكن بكين اشارت الى ان هذه المعونة كانت صغيرة اذا قورنت بحاجات الصين الكثيرة وان الصادرات الصينية الى روسيا كانت ثمنا كافيا «للكرم» الروسي.

وكانت بكين ترى ان الروس يشترون منها بأرخص الاسعار ويبيعون لها باغلاها .

ولم يكن هذا رأي مونسكو . فقد كان من الممكن في رأي الروس

أن يكون لدى الشعب السوفيتى مستوى أعلى من المعيشة لو لم يبادر خلال السنوات العشر الأخيرة الى تقديم تضحيات غالية لتدعيم الصين باسم التضامن الايدىولوجى . وكان من الافضل تخصيص القروض للدول المتخلفة التى يحتمل كسبها الى جانب روسيا بفضل مزايا الماركسية .

وكان مصدر التبادل الاقتصادى مع الدول الديمقراطية الشعبية الاخاء الايدىولوجى . ولكن من لا يقدم شيئا لا يحصل على شيء . وزودت دول أوروبا الديمقراطية الصين بالمواد الخام والالات . وكان على الصين ان تقدم مقابل ذلك الحديد والزنك والكوبالت والتصدير . ولو صدرت الصين هذه المواد مقابل مواد خام من دول غير شيوعية لاستفادت أكثر ، ولحصلت على أرباح أكبر . . .

وعدا ذلك ، فان صادرات وواردات الصين كانت تحت سيطرة موسكو ، ويجب ان تمر عبر الاتحاد السوفيتى الذى يحصل رسوما كبيرة على النقل ، واكد وزراء اقتصاد موسكو أن الصينيين يستنزفون موارد الدول الشيوعية البسيطة وأشاروا الى ان المواد الخام الصينية تعود الى بلادهم الأصلية في صورة بضائع استهلاكية .

وبالانتقال من دائرة فاسدة الى أخرى لم يكن باستطاعة

الاشقاء الايدىولوجيين انفراد من الامر الواقع . لقد كانوا يحلمون بأنهم سيستطيعون في النهاية التعامل بحرية مع العالم الرأسمالى وقد ظهرت هذه الرغبة رسميا وعلمنا في مناسبات عديدة ومن قبل الصينيين خاصة ، وأعلن «لى تشن من» نائب وزير التجارة الخارجية في الصين : «ان تحديد الاسعار في الدول الرأسمالية شيء عادل حيث يتم التبادل على أساس مبدأ تساوى الاسعار . . . وترى الصين ان بريطانيا العظمى والكونغولت البريطانى شركاء

تجارين لهم قيمتهم بقدر الرخص النسبي للجنه الاسترليني اذا
قيس بالدولار . ولكن التبادل التجارى مع الاتحاد السوفيتي يتم
على أساس الدولار وهذا يضايق رجال الاقتصاد في بكين . وبالفعل
فان الاتحاد السوفيتي لا يعترف الا بالدولار كعملة صعبة في
معاملاته مع المعسكر الشيوعي . ومعروف ان الروس يبيعون
انتاجهم من الذهب في سوق لندن . وهذا الاسلوب الميكيفيلى في
العمل لا يرفع من سمعة الاخصائيين السوفيت في النزاهة التجارية
ولا اجتذاب راس المال الاجنبى أعلن الصينيون انهم ان يفرضوا على
احد ضرورة التعامل على أساس الدولار ، ولم تكثر الولايات
المتحدة كثيرا بهذا الامر ولكنه كان مبعث استياء في الاتحاد
السوفيتي .

وأصبحت سياسة الصين التجارية هجومية اذا قيسست
بالسياسة التي تتبعها موسكو مع الدول المتخلفة . وفي عام ١٩٥٤
قبل تدفق الذهب الروسى على الشرق الاوسط والمناطق الاخرى
تعهدت الصين بتدعيم اقتصاد بعض دول آسيا . ففي سيلان -
كانت امريكا هي المشتري الرئيسى للمطاط الهيلاني - لا تدفع
اكثر من واحد وعشرين سنتا مقابل رطل المطاط بدلا من اربعة
وسبعين وأصبحت صناعة المطاط في سيلان مهددة بالدمار ، وقد
عرضت الصين شراء هذا المطاط لمدة خمسة اعوام مقابل الارز الذي
تحتاجه سيلان .

وقد نجحت الصين - بادماج العمل مع اغراض الدعاية في
موازنة ميزانياتها التجارية التي كانت تواجه عجزا لاكثر من سبعين
عاما ، وكى تحرر نفسها من الخضوع لتوجيهات روسيا في شئون
التجارة قدمت العروض لجميع الدول بدون استثناء . فهى تحاول
ازالة مخاوف جيرانها . وذكر شواين لاي لوفد يابانى ذهب الى
بكين للحصول على معلومات : «يعتقد بعض الناس في اليابان انه
اذا أصبحت الصين دولة صناعية ، فلن يكون هناك مستقبل
للتجارة بين اليابان والصين ، ان هؤلاء على خطأ . فان تصنيع

الصين سرافقه ازدياد في حاجات الصينيين . ولسد هذه الحاجات فان علاقاتنا التجارية مع اليابان يجب ان يتسع نطاقها لأكبر حد ممكن .

وكان على الصين ان تسعى الى اجراء اتصالات دائمة ومختلفة مع العالم الراسمالي لكي تصبح دولة تجارية كبرى .

وليس الاقتصاد الروسى متمعا للاقتصاد الصينى . واذا ارادت روسيا والصين النجاح فى انتاج المواد الاستهلاكية بكميات كافية ، فستصبح الدونغان فى مركز يتيح لهما تصدير منتجاتهما . ولا بد للدولتين من ان تبحثا عن نفس الاسواق . ونظرا لان الدولتين تملكان مواد خام متشابهة فليس من السهل بالنسبة لهما التضحية بحقوقهما ولا بد من حدوث اصطدام .

واذا كانت روسيا قد استخدمت الايدولوجية المشتركة كوسيلة لمساعد بها الصين فانها تكون فى الواقع قد اجرت صفقة تتسم بالحماقة وبهذا تكون قد وقعت فى شرعائها . وكان ستالين على حق فى شكوكه فيما يتعلق بالمسألة الصينية . وكان ماوتسى تونج هو القاتل الحقيقى لستالين .

واذا حاول الصينيون المقارنة فانهم يقولون انهم بالنسبة للاتحاد السوفيتى مثل بريطانيا بالنسبة لولايات المتحدة .

ولكن الصين تعتقد انها تستطيع ان تكون ندا للدول الكبرى كالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وان المقارنة مع بريطانيا العظمى تتيح للمرء ان يفهم عقلية بكين . والصين - التى تمتنق الشيوعية بطريقتها الخاصة لا تعرف لها أعداء ، كما انه ليس لها دول تابعة تسير فى فلكها بحيث تخشى فقدان نفوذها لديها وهى ليست دولة استعمارية بطبيعتها . وهى تريد تحقيق الثراء للصينيين ، من مواردها الفنية الكثيرة .

وقد اراد الانجليز استغلال الصين والصينيين وقد فعلوا ذلك

لفترة من الزمن . وقد خسروا ايام بعض اسواقهم كما خسروا
امبراطوريتهم ولكنهم لا يزالون محتفظين بكيانهم . وقد تخلصت
بريطانيا من عقدها الاستعمارية واعتادت على التعامل مع الصين -
ومما يذكر ان بريطانيا تكره التطرف والمتطرفين . وقد حاولت ان
تتبع الولايات المتحدة في سياستها ولكنها وجدت في ذلك عسائ
شديدا .

وموقف الصين من روسيا شبيه بذلك ، ومن ثم نجم التفاهم
المشترك بين بريطانيا والصين . وللبلدين حضارة وطريقة في الحياة
اسمى واقدم مما يملكه هؤلاء الذين يعتبرون سادة العالم في الوقت
الحاضر .

وعلى اى حال فان الصين تتوق الى استعادة مكانتها المرموقة
السابقة وهي على يقين من انها ستحقق هذا الهدف .

الفصل السادس

سياسة التحدي

كانت دبلوماسية الصين التي تعتبر أقدم دبلوماسية في العالم في حالة سبات عدة قرون من الزمن . ولأول مرة منذ سنوات طويلة تستأنف الصين دوراً بالغ الأهمية في آسيا بفضل سياستها العنيفة . وللمرة الأولى في تاريخ العالم تلعب الصين دوراً رئيسياً له تأثير على قارات العالم الخمس . وحتى لو سقط الحكم الحالي غداً ، ولو عادت موجة من الفوضى إلى هذا البلد ، فإن النفوذ الجديد الذي اكتسبته الصين سيظل باقياً .

هل يستطيع المرء أن يتخيل موقف الولايات المتحدة إذا حدث - نتيجة لتحول القدر - وعادت الامبراطورية البريطانية إلى سابق مجدها وأعيد تشكيلها على أسس جديدة مثلاً كانت قوة فعالة في عهد « دزرائيلي أو بيت » ؟ فإن هذه الامبراطورية الفتيحة التي طامحت ذات الخبرة الدبلوماسية لفقدة - لو عادت إلى حيز الوجود لجعلت الولايات المتحدة ترتعد خوفاً منها . ولا أصبحت زمامة أميركا موضع تساؤل ولا حظ الشك بنظام أميركا الاقتصادي ولا نمط شأن دبلوماسيتها بصورة كبيرة ، ولكانت أفكار سياستها البسيطة مثاراً للضحك ولتضاءلت هيبتها . ان الولايات المتحدة محطمة لان بريطانيا العظمى لم تعد مثلاً كانت عليه .

ما الاتحاد السوفيتي فهو أقل حظاً ، فقد وجد في الصين

حقيقا وثيركا كان تابعا له لمدة شهور قليلة فقط وهو يستطيع التفوق عليه في ميادين شتى من النشاط . واذا كانت دبلوماسية الصين مستعدة لشن عدة هجمات في اتجاهات مختلفة في انحاء العالم ، فان الدبلوماسية السوفيتية ترى ان جبهة جديدة اضيفت الى الجبهات الاخرى . ويجب على روسيا ان تجابه الدبلوماسيات الغربية ، وتراقب عن كثب نشاط الدول التابعة لها في اوربا ، وتجعل اصدقاءها في الشرق الاوسط يواصلون الحذر والتخمين ، وفوق كل شيء ان تعدل اساليبها وخططها بحيث لا تؤخذ على حين غرة من قبل حليفها الكبرى - الصين

ومن الناحية الرسمية فقد كان التفاهم يبدو سائدا في العلاقات بين الصين وروسيا كان لم يعكر صفوه شيء من شك او ازعاج . ومنذ عام سنة ١٩٥٦ ، امضت دبلوماسية البلدين وقتا طويلا في اعداد الكمائن لبعضهما .

ومما يذكر انه عقب مسألة الجربضة اشهر - قام الكرملين باكبر مناورة دبلوماسية . فقد قام خروشوف وبولجانين برحلة الى لندن ونيودلهي وكابول ، وقام شبي洛夫 برحلات هنا وهناك وبدأ العمل في الشرق الاوسط ، وقدمت روسيا معونة اقتصادية الى الهند واندونيسيا ومصر . وجاء هذا كله بعد قرار بكين بانها ستهتم مستقبلا بالشئون العالية بصورة مباشرة فعالة .

وفر اهتمام خروشوف المفاجيء بالرحلات والمؤتمرات ظهرت مربعا في الكرملين لتعزيز اسهم السوفيت في السوق الدبلوماسية الدولية - بانه ضرورة ملحة بقصد خداع الشعب الروسى فيما يتعلق بالمصاعب الاقتصادية الداخلية ، ونشر الشيوعية في الشرق الاوسط ، ومضايقة امريكا وارغامها على بحث مسألة تقسيم العالم الى شطرين . وقد يكون هذا كله صحيحا ، ولكن السبب الرئيسى للنشاط الروسى كان يرجع الى

رغبة موسكو في ألا تؤخذ على غرة من جانب حكومة بكين .

وقد أعلن شواين لاي عن نيته بصراحة متناهية - وعننية حكومته - فاعلن أنهم انراى العام العالمى ان ذولة جديدة كبرى قد ظهرت فى الوجود وانها لاتنوى مشاركة احد فى امجادها حتى حليفتها روسيا الشقيقة . وقد استقبل خروشوف هذه الانباء بفتور . وفى هذه الاونة انفجرت أزمة السنويس ولدهور الموقف بسرعة . واستطاع خروشوف حينئذ ان يلعب دوره الهام المعروف فان تهديداته المكشوفة الخاصة بتدمير لندن وباريس اوتوماتيكيا بواسطة الصواريخ صادفت استجابة فى بكين . وكانت كلمات خروشوف من كافة النواحي موجهة الى الغرب ، ولكنها اظهرت للصين مدى اعتمادها على قوة الاتحاد السوفيتى المادية . وكان موقف الصين خلال هذه الفترة الحرجة يتسم بالتحفظ ..

وازداد عدم ثقة الصين بالتدريج . وبدأت روسيا والصين معركة الدهاء وكانت كل خطوة تتخذها موسكو او بكين تخفى وراءها دافعا غير ظاهر - هو مضايقة الطرف الاخر . وعندما وصلت أزمة السنويس الى ذروتها ، وقعت ثورة بودابست . وقد جاءت ثورة المجر بعد الثورة فى برلين - لذلك فقد هددت ثورة المجر التوازن الذى حافظت عليه موسكو بصعوبة مع اتباعها فى اوربا .

وكانت المعارضة الداخلية التى تزعمها الجماعة المناوئة للحزب الشيوعى السوفيتى ، تنتظر الفرصة الملائمة للتخلص من خروشوف وحاول بولجاين ابعاد نفسه عن سكرتير الحزب الذى وجد تاييدا له فى الجيش ومن قبل ميكويان ولم يكن فى استطاعة خصوم خروشوف ايجاد حل اخرى سوى القمع المنظم الذى كان خروشوف ينوى ايضا ان يستخدمه . ولكن الجماعة المناوئة للحزب رأت ان خروشوف ليس كفؤا لانجاح هذا الحل . وكانت

هذه فرصة ماوتسى تونج ليظهر من وراء الستار الذى وضعه
السوفييت أمامه منذ استيلائه على الحكم .

وحانت لحظة الانتقام للفخ الذى نصبته روسيا للصين فى
كوريا والذى تسبب فى ضعف الصين العسكرى والاقتصادى
واضعاف سياستها الخارجية .

وقد أخطأت موسكو عندما طلبت من ماوتسى تونج ان يتدخل فى
مسألة هجر . وكان الامر يتعلق بانقاذ مركز خروشوف وزعماء
الدول التابعة لموسكو . . ولم يكن ماوتسى تونج ينتظر ان يطلب
منه التدخل مرتين . ولأول مرة - وبحجة الاديولوجية تدخلت
الصين مباشرة فى شئون أوروبا . وأخيرا انعكست لاية لتستفيد
منها بكين . .

وايد ماوتسى تونج خروشوف ، الامر الذى أدى الى تهديده
الهيّاج فى أنكرماين وانقاذ جومولكا ووقف المتطرفين وفلاسفة
الحزب فى روسيا عند حدهم ونصب ماوتسى تونج من نفسه حكما
بين موسكو وبودبست وبين جومولكا وخروشوف . وقرر ان
يتوسط بين تيتو والاتحاد السوفييتى . وولدت قرة الصين من
ضعف الاتحاد السوفييتى . وقد دام رجحان الميزان لصالح الصين
ثمانية أشهر .

وتم فى يوليو سنة ١٩٥٧ انقضاء على الجماعة المناوئة للحزب
فى موسكو والتي تضم - مولوتوف ومالينسكوف وكاجانوفيتش
وشيبيلوف . وفى نوفمبر تم ابعاد زوكوف الذى قدم لخروشوف
مساعدة حاسمة ابان ازمة بودابست وعند القضاء على الفئة المناوئة
للحزب . وكان ابعاد زوكوف مثابة تحذير لماوتسى تونج .

ولم يكن فى نية خروشوف ان يبين امتنانه لهؤلاء الذين ارادوا

مثل زوكوف وماوتسى تونج الاستفادة الى حد كبير من الخدمات التي قدموها اليه .

وكان من الممكن بالنسبة لخروشوف ان يتخلص من الارشال زوكوف ، ولكن لم يكن من السهل عليه التخلص من ماوتسى تونج الذي يتمتع بنفوذ هائل في الصين وكان من المقرر ارقام دول الستار الحديدي على عدم الاعتماد على مساعي ماوتسى تونج الحميدة .

ان ثورة بودابست لم توزع اسس لامبراطورية السوفيتية ولم تضعف نفوذ فلاسفة الحزب فحسب بل حولت بنتائجها ميزان التفوق في العالم الشيوعي من موسكو الى بكين . وبدأ خروشوف حملته المضادة لماوتسى تونج بعد ان تخلص من خصومه في موسكو - وذلك بشن حملته الكبرى في الشرق الاوسط . ففي عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ بدأ سكرتير الحزب الشيوعي الذي تولى رئاسة الحكومة السوفيتية بعد ابعاد بولجانين بقلب مشكلة الشرق الاوسط راسا على عقب .

وفي عدة مناسبات في التاريخ الحديث ، كانت القسطنطينية على وشك الانفجار بل انها في عام ١٨٧٧ كانت على وشك ان تشر الحرب العالمية الاولى فقد قرر دزرائيلي حينئذ وضع جميع امكانيات الامبراطورية البريطانية ضد روسيا التي ارادت الاستيلاء على القسطنطينية وتحويلها الى مدينة تسمى سيزارجراد . ان الطريق المؤدى الى الهند ، وسلامة المواصلات الامبراطورية بل ومصر لندن نفسها ، كل هذا كان سيصبح تحت رحمة الروس لو نجحت جيوش القيصر الاسكندر الثاني في دخول مدينة السلاطين . وقد أعلنت حالة الطوارئ في جيوش اساطيل صاحبة الجلالة البريطانية وكان من الممكن ان تصطدم الامبراطورية الروسية والامبراطورية العثمانية على طول جبهة طولها بضعة آلاف من الاميال تمتد من البaltic الى حافة جبل الهملايا . وكان لابد

لألمانيا وزعيمها بسمارك وفرنسا والنمسا والمجر من الانحياز الى
أحد الطرفين المتنازعين .

واستطاع مؤتمر برلين المحافظة على السلام . وبعد ستة وثلاثين
عاما نشبت الحرب العالمية الأولى . وكانت بريطانيا العظمى
وروسيا في جنب واحد ولكن القسطنطينية كانت لا تزال الهدف
الضروري لكل من روسيا وبريطانيا وكان اللورد كتشنر في طريقه
الى روسيا عندما اختفى فجأة في بحر الشمال . وكان في طريقه
للتباحث مع القيصر نيقولا الثاني بشأن الاتفاساق على مسافة
القسطنطينية . وعندما وضعت الثورة الروسية حدا للقوة
السياسية الروسية في عام ١٩١٧ ، كان لدى البريطانيين سبب
بدهومهم للارياح : وهو ان القسطنطينية أصبحت في امان . ولو
حدث وانتصرت روسيا - ولم تحدث فيها ثورة عام ١٩١٧ -
لكانت أكثر الشركاء اذرة للمعاقب تهدد توقيع معاهدة انتهاء الحرب
العالمية الأولى . وكان من الممكن أن تطالب بالقسطنطينية بأى ثمن .
وعندما أثار تشرشل مشكلة الذردنيل الخطيرة ، كان كل همه هو
الموصول إلى القسطنطينية وكان مصمما على الاستفادة من ضعف
روسيا الحربى لأحراز أقصى ما يمكن من المكاسب قبل انتهاء
العمليات الحربية . وقد أثار فشل تشرشل في هذا المجال أسوا
المخاوف في لندن .

وشجعت بريطانيا العظمى بالارياح اثر سقوط الامبراطورية
القيصرية . فبدلك استطاعت تكريس نفسها للغزو - ان لم يكن
غزو القسطنطينية فغزو بترول الشرق الأوسط على الأقل .
واستطاعت بريطانيا ان تخدع منافستها فرنسا بينما لم يكن
باستطاعة ألمانيا للنزاية ان تحصل على موطئ قدم لها في العراق .
ومنذ عام ١٩٤٢ وما بعده دخلت اميركا المنطقة المخصصة لبريطانيا
العظمى . ولم يكن التعايش الانجلو - اميركى سلميا . ثم جاء
التدخل السوفييتى قارغم الجميع على الاتفاق .

ولم يضع خروشوف وقتا . واستفاد من القافل التي نشبت في الشرق الادنى بسبب المشكلة المصرية . وقد فتح محمد نجيب له الباب أولا ثم عبد الناصر وحمل شبي洛夫 النفوذ الروسى الى القاهرة والاسكندرية لأول مرة . وقد تمتد هذا النفوذ في الشرق الاوسط . ولعب الاتحاد السوفيتى دورا هاما في استغلال المنازعات بين العرب والغرب ، وبين العرب واليهود وبين العرب انفسهم . وجاءت الوحدة بين مصر وسوريا ووقع انقلاب بغداد . وفي العاصمة العراقية حل الروس محل الانجليز . وبديل القسطنطينية جاءت بغداد وبديل المضائق جاء البترول ، وجاء استغلال النفط العربى بواسطة الانجلو - اميركان ودخول النفوذ السيلسى الروسى الى بغداد - وكان هذا كله يكمل بعضه البعض .

وكان ماوتسى تونج وزعماء بكين يفكرون تفكيرا مختلفا . وقررت الدبلوماسية الصينية - لدهشة موسكو - ان تتدخل مباشرة دون ان تطلب مشورة طيقتها روسيا - في شئون الشرق الاوسط وخاصة في مسألة العراق المشتعلة . ودخلت الميدان قوى جديدة وانضمت الى السباق الجمهورية العربية المتحدة ايضا . وتتابعت وفود الصين بسرعة متتحلة شتى الاصدار . وبدأ الصراع على النفوذ بين الاتحاد السوفيتى والصين والذي لم يقتصر على الشرق الاوسط بل امتد حتى وصل الى السودان . واعلنت الصين انها تنوى بلل مزيد من الاهتمام لبحث المسائل التى تمم العرب وافريقيا مثلها في ذلك مثل الاتحاد السوفيتى . وانتقلت الاتصالات من السودان الى غانا والكونجو البلجيكي وجنوب افريقيا وواجهت محاولات خروشوف لاستعادة سيادة بلاده على الركب الصينى - الروسى تدابير مضادة من قبل الدبلوماسية الصينية .

وكان لهذه التدابير اهداف عدة . فقد ارادت الصين ان تثبت لروسيا انها هازمة على تأييد استقلالها التام عن سياسة موسكو

وتوسيع نطاق صداقة الصين الى المسرح الديبلوماسى ، لتبرهن انها جديرة بأن تصبح عضوا فى الامم المتحدة . وفى غمار جهودها لاقامة اتصالات جديدة ، تم تنس الصين اسيا ، ولكنها كانت تفضل معالجة الشرق الاوسط وافريقيا أولا بحيث تستطيع بعد ذلك الالتفاف حول اسيا - وخاصة الهند .

كانت الهند هدفا لمطامع بريطانيا وفرنسا منذ القرن السابع عشر . وعندما تم ابعاد فرنسا عن المنطقة ، واصل الروس الضغط الشديد على حدود الهند الشمالية وخاصة ابان القرن التاسع عشر . وعرض انقيصر يول الاول الانضمام الى نابليون برنابرت فى فتح شبه جزيرة الهند . وفى تسيت عرض نابليون بدوره عقد تحالف مع القيصر الكسندر الاول بقصد ارسال جيش فرنسى روسى للزحف على ارض الجانج فى الهند . وراح قياصرة روسيا - نيقولا الاول واكسندر الثانى والكسندر الثالث . يتطعنون الى جوهرة اسيا بنفس الجشع الذى كان يتطلع به الانجليز الى القسطنطينية . ومنذ عام ١٩٥٥ وروسيا تتصارع مع الصين حول كسب حكومة نيودلهى . وظهر لأول وهلة ان يكن كسبت المعركة . وكانت الهند التى يتزعمها غاندى ونهرو تعطف على دولة الصين الاسيوية المتمدينة لمسالمة . ولكن عندما قررت يكن احتلال التبت عسكريا انكشفت اللعبة . ورأى نهرو ان هذا العمل الفردى بادرة تحد من نيودلهى .

وامر تلميذ نبي العصيان المذنب بتسليح الجيش الهندى . ووجهت عناية كبيرة للدفاع عن الحدود الشمالية والشمالية الشرقية . واتبعت سياسة عنيفة حيال الحزب الشيوعى الهندى والاحزاب الاقليمية . ولم يمنع هذا حكومة نيودلهى من الترحيب بالخارج برغماء الاتحاد السوفيتى . ولم تكن الاحزاب الشيوعيسية

الهندية تتلقى تعليماتها من موسكو ولكنها بدأت تتفاهها من بكين منذ عام ١٩٥٠ .

وكانت موسكو بعيدة جدا عن نيودلهي وهي قبل كل شيء عاصمة دولة اوردية . واما بلين فهم اسيويي و بصين مجاورة للهند . وكما رابنا ، فان الاتحاد السوفيتي يملك اقتصاد يحط اتوازن بين راسمالية الدولة وبين مذهب صلاحى لم تتحدد معاله بعد . وكانت الصين تقدم انتراكية جذابة متناسب وظروف الاسيوية واما الهند فكانت على وشك القيام بثورة زراعية موجهة ننطوى على آمال ديمقراطية حرة . وهي تحاول بناء قوة صناعية بوسائل مالية محدودة .

وباختصار كانت الهند تتلمس الطريق لسوى والاسلوب الملائم وكانت حكومة الهند لاجازة تعلم ان اتخاذ اية خطوة زائفة قد يؤدى الى كارثة مروعة . واذا حدث ذلك ، فان الكرملين سيكون بعيدا منهمكا فى متاعبه بحيث لا مجال لفرض ايدولوجية ظافرة على خمسمائة مليون هندي . والخطر اسوفيتى هو خطر مخفف بالنسبة لنيودلهي ولا يشبه الخطر الكامن فى جمهورية الصين الشيوعية القريبة . وعندما استولت القوات الصينية على التبت لم تفشل موسكو فى تقديم تأكيدات سلمية لنيودلهي ، ولكن هذه التأكيدات كانت باسم لاتحاد السوفيتى فقط . وهي تمثل عرضا بالحماية من قبل الكرملين امام اى خطوة قد تقدم عليها بكين . وكان هذا قمة التناقض ، ولكنه كان يعنى ان الهند المتردة يمكن ابقائها فى العسكر المديد الامر الذى يفيد لعالم الشيوعى . وبذلك اعطت موسكو درسا لبكين فى الاتزان ، ولكن هذا لم يحل مشكلة التنافس بين روسيا والصين

وعندما اطلق نهرو صيحة الخطر ، ارادت الدول لاسيوية ذات الميول المحايدة ان تعكس هذه الصيحة على الخداع الذى كانت

تقدمه الصين الشيوعية لجماهيرها التي كان من العسير السيطرة عليها . وفي اندونيسيا ، قرر سوكرنو كبح جماح حكومته التي كانت منذ مؤتمر بالونج تتجه الى التفاهم مع العالم الشيوعي بأى لمن . وعندما أصبحت الصين زعيمة للشيوعية لآسيوية ، رأى سوكرنو ان قواعد اللعبة لم تعد تلقى احتراما . ولم يكن الامر يتعلق بالشيوعية بقدر ما يتعلق بالاستعمار الصينى الذى يعتبر فى مثل خطوة الاستعمار اليابانى فى الحرب العالمية الثانية .

وكان للاستعمار اليابانى يقتصر على الاشراف على الاسواق الاقتصادية التى كان لابد منها للاقتصاد اليابانى . اما الاستعمار الشيوعى الصينى فانه يطلب بالسيادة السياسية والاقتصادية والايدولوجية فى آسيا . وكان من السهل تحويل جماهير الهند واندونيسيا . وبينما كانت الهند تحاول تغيير معالم اقتصادها بصعوبة فان اندونيسيا بالرغم من ثرواتها كانت لا تبالى بمشكلة ازدياد السكان الذى لم يكن يعوضه - كما فى اليابان - الجهود الجهدية فى الانتاج لاقتصادى والتوسع .

وكان الاغراء الذى تقدمه التجربة الصينية قويا بالنسبة للجماهير الآسيوية وكان مصدر الاغراء قريبا وميسدان التجربة كذلك . فقد كان للصين نفوذ دائم فى هذه البلدان . ومنذ عهد امبراطورية مانشو الى ان تحولت الصين الى حكم كومنتانج ، فان الصين كانت تجتلب انظار هذه الجماهير وتثير اعجابهم . وقد ازداد هذا الاعجاب بعد قدوم الشيوعية . ومن العسير على سوكرنو ان يوقف آثاره فى اندونيسيا ، وكما هو الحال فى الهند ، فان الحياذ فى جاكارتا يسعى الى الحصول على تأييد له فى موسكو وحتى فى بلغراد وفى القاهرة ، ولكن ليس فى بكين .

ولم تتج الفلبين من النفوذ الصينى ، ولكن الحياذ لا يلقى ترحيبا كبيرا فيها . والحال فى سيام لا يختلف عن ذلك . وكان

موقف سيام حبا في بكين - كما كان في بورما ذات الميول الحيادية -
قد ازداد صلابه الى درجة ان الميول المعادية للصين في جنوب شرق
آسيا كانت تتحول باستمرار الى بانكوك . وبكين على دراية بهذا
الموقف بحيث انها في صيف عام ١٩٥٨ حاولت ان تسدد للروس
ما كابدته في مسألة كوريا . وهكذا خلقت حوادث جزر بسكادور
القريبة من فورموزا .

وبالنسبة لبكين ، فانه لو لم تكن فورموزا موجودة لكان من
الضروري ايجادها . وكان تشيانج كاي شيك قد لجأ الى فورموزا
مع نصف مليون صيني وبذلك ابتعد عن القارة الصينية . وشكل
تشيانج كان شيك دولة وطنية كان تحالفها مع أمريكا يعود لاسباب
اقتصادية ومالية فضلا عن ان دولة الصين عاملته بازدراء . ومع
ذلك فان جزءا كبيرا من هؤلاء الصينيين لم يكونوا شيوعيين او
يعطفون على الشيوعية . وكان سبب ازدياد الصينيين لشيانج
كاي شيك انهم يعتقدون ان رحيله عن الصين كان بمثابة فرار
وليس استعدادا للعودة . ولكي تحصل فورموزا على مكانة لها
كان ينبغي ان تصبح مثالا للديمقراطية الصحيحة والسلوك
الحكومي الممتاز ، والامانة الاقتصادية وان تتمسك بالاستقلال
حتى لو اضطرها الامر الى مقاطعة الولايات المتحدة ذاتها لاثبات
حسن نيتها . ولو كانت فورموزه قد حققت هذه المبادئ لكان من
الممكن ان تصبح رأس جسر لاي حركة معادية للشيوعية في الصين
ونموذجا اديبا رائعا لبقية دول آسيا . ولكن فورموزا لم تحقق
هذه المبادئ ولهذا فهي لا تمثل خطرا حقيقيا على الصين ولعل
هذا هو السر في عدم تعجل حكومة بكين في الهجوم عليها ولاشك ان
هذا كله هو نتيجة الخطأ الذي وقع فيه شيانج كاي شيك .

وقد أوجد ماوتسى تونج فزعا حقيقيا ، ومما يذكر ان هدية
الفرع كان في واشنطن ولندن أقل منه في موسكو نفسها ، وذلك
عندما اثار مشكلة كيموي في صيف عام ١٩٥٨ وأعلن انه على

استعداد للقيام بأى عمل مهما كان متطرفاً في سبيل استعادة فورموزا والجزر المجاورة لها . وكان في استطاعة ماوتسى تونج ان يعطى دوراً هاماً لملووتوف وزير خارجية روسيا السابق الذى كان حينئذ سفيراً لروسيا في اولان باتور عاصمة منجوليا الخارجية التى تقع بين موسكو وبكين . وبمساعدة وزير خارجية روسيا اعد ماوتسى تونج « لعبة » كان يمكن ان تضيق نهاية - حاسمة للعلاقات الرسمية بين الصين والاتحاد السوفيتى .

واصدت بكين أوامرها بقصف جزر كيماوى بالقنابل بدون اخطار موسكو بذلك . وصدر بيان بعد ذلك يوحى بأن شيئاً مزمعاً سيحدث . وكانت بكين تقصد في الواقع اختبار تضامن وحسن نية السوفيت خليفة الصين ولائحة الاضطراب والارتباك في العالم وقد تحقق هذا الهدف . واعتقدت لندن وواشنطن ان الحرب أصبحت قاب قوسين أو أدنى . ولكن لدهشة الخبراء الدبلوماسيين في عاصمتى العالم الحر فان الكرملين هو الذى قام بالبادرة الاولى للتهنئة وكان خروشوف في حيرة لا تقل من حيرة دالاس أو ماكملان . وحسب خروشوف بسهولة أن هدف المناورة الصينية هو ارقام موسكو على الاستسلام . وكان المتوقع أنه أما ان تؤيد موسكو حكومة بكين في موقفها الجديد بلا شرط او قيد وتوافق على المجازفة بإشعال حرب عالمية سببها حاجة الصين المفاجئة لاستعادة احدى جزر الباسفيك حتى ولو كانت فورموزا ، ولما ان ترفض الاشتراك في هذه المغامرة المحققة ونتيجة لذلك ستفقد روسيا ماء وجهها في نظر العالم وفي نظر آسيا بصفة خاصة .

وكان تردد الغرب والخوف الذى نجمت عن عدم استعداد حلف جنوب شرقى آسيا للدفاع هو الذى جعل امريكا وبريطانيا تقدمان لموسكو وسائل حفظ ماء وجهها وانهاء المسألة . ولكن بكين كشرت من انيابها وبدأت اطماع الصين تخيف موسكو .

وقد طلبت بكين بعد أن ملئت أصابعها الى خروشوف وحزبه
بسخرية واهانة مقابل تحسين سلوكها في الأشهر المقبلة - أيضا
لعلاقتها مع الاتحاد السوفيتي . وكان هذا الإيضاح يشتمل
النقاط الآتية :-

١ - تتبع جمهورية الصين الشعبية من الآن فصاعدا سياسة
خارجية مستقلة تماما . وعدا ذلك ، فإن الاتحاد السوفيتي
يأخذ بمقترحات الصين في كل ما يتعلق بشئون آسيا . وهذا معناه
مطالبة الروس - بأدب وقف تدخلهم المباشر وغير المباشر فيما
لا يخصهم - وهو آسيا .

٢ - تقوم روسيا بتزويد للصين الشعبية بكافة الاسرار الذرية
والنووية التي تملكها كدليل على حسن نيتها وتضامنها الشيوعي
وتزود روسيا الصين أيضا بكافة تفاصيل صواريخ القنابل .
وأشارت الصين الى انه اذا لم يتقاسم المعسكر الشيوعي كله أسباب
القوة فإن الاخاء الايديولوجي سوف يتعرض للانهار .

٣ - يضاعف الاتحاد السوفيتي ما يسلمه للصين من اسلحة
ثقيلة كما يجب على روسيا ان تزود صناعة الاسلحة الصينية
بالالات الخاصة بانتاج الاسلحة الخفيفة والثقيلة وبذلك تتمكن
القوات الصينية المسلحة من سد حاجاتها في المستقبل .

٤ - تخضع جميع الاحزاب الشيوعية في آسيا لسيطرة الحزب
الشيوعي الصيني وحده .

وطلبت الصين من روسيا تقسيم العالم الشيوعي فيما بينهما .
وتركت الصين دول اوربا الديمقراطية للشعبية لرعاية روسيا ،
وكانت هذه منحة غير ذات قيمة وخصت للصين نفسها بالجزء
الاكبر وهو آسيا . ومقابل ذلك علم ان افريقيا والشرق الاوسط
وامريكا الجنوبية ستكون مناطق نفوذ مشتركة بين الطرفين .

واثارت ناثرة الكرملين ليضعة ايام ، واخلت الجماعة المناوئة للحزب ترفع راسها معتقدة ان اللحظة قد سنحت كي تنتقم من خروشوف ولكنها خلعت بسرعة فقد كان ماوتسى تونج نصيرا لخروشوف . ومن ثم فلم يعد يهتم بشئون الكرملين بشرط اجابة مطالبه . ومن اجل ذلك ، فانه لم يكن ثمة حاجة الى عقد معاهدة تحالف جديدة قد تثير الشكوك ، وكان يكفى توقيع بروتوكول سرى .

وتعجب خروشوف وخيل له انه فى حلم . وعرض ميكويان للذهاب الى بكين ليحاول تسوية الامور ، واستشير مولوتوف فى الامر ، فأعرب عن اعتقاده بانه لا يوجد سبب يحول دون قبول مقترحات بكين . وفوق كل ذلك ، فانه لا ينبغي ان يكون التضامن الايديولوجى مجرد عبارة لامعنى لها . ويجب ان تشارك موسكو بكين فى مسئوليات العالم الشيوعى . وانه لشيء حسن اذا ساهمت بكين بنصيبها من لتضحيات فى سبيل الصالح العام . وكان اشتراك الطرفين هو الوسيلة الوحيدة لا انتصار الشيوعية فى العالم . وهز خروشوف كتفيه بازدياء . وذهل مولوتوف « المحافظ » من تطور الموقف . فقد اخذته الاحداث على حين غرة ولم يكن اقل دهشة من خروشوف بتطور المسألة الصينية وتقلباتها .

وقد استطاع ماوتسى تونج ان يستحوذ على اعجاب مولوتوف بل وان يكسبه الى جانبه . . وقد فعل ستالين نفس الشيء . فقد ولد مولوتوف ليكون تابعا لرجل اقوى منه . ولهذا السبب النفسى فقد اصابته الحيرة مولوتوف بعد وفاة ستالين عندما اعتقدت موسكو بل والعالم انه سيكون الخليفة الوحيد الممكن لستالين وقد تنحى مولوتوف وافسح الطريق للمينكوف وخروشوف اللذين كانا صديقين حميمين فى ذلك الوقت .

ولم يؤخذ بنصيحة مولوتوف فيما يتعلق بالمسألة الصينية . واضطر خروشوف الى مواجهة الموقف وفي ذهنه مصالح الاتحاد السوفيتى فقط . ولم يكن هناك ما يدعو الكرملين - او الفئسة الحاكمة فى موسكو الى قبول الشروط التى وضعها ماوتسى تونج ورفاقه .

ولكن لا بد من مواجهة الحقائق . ولم يكن من المستطاع رفض لشروط الاول ، لسبب بسيط هو ان الصين قد تستغنى عن ثورة الكرملين وتباشر حريتها الدبلوماسية . وكان هذا مجرد تأكيد حقيقة واقعة . وقرر خروشوف مساندة الظروف . ووافق الاتحاد السوفيتى على تزويد الصين بما لديها من اسرار عن الذرة وكذلك الحال بالنسبة لصواريخ الفضاء . ولكنها تذرعت بأسباب فنية وطلبت تأجيل ذلك مدة ستة وثلاثين شهرا . ووافقت الحكومة السوفيتية ايضا على تقديم الآلات الثقيلة التى تستمكن الصناعة الصينية من سد حاجة القوات المسلحة وهنا ايضا ، كان لا بد من تأخير الموضوع اربعة وعشرين شهرا . وأما المسألة الايديولوجية الخاصة بأحزاب آسيا الشيوعية فيمكن حلها بالاتفاق بين الطرفين . وتستطيع بكين السيطرة على هذه الاحزاب ، ولكن موسكو طلبت ان يكون لها حق الرقابة عليها .

وهكذا ، من كافة الوجوه ، كسبت بكين الموقف . ولتجنب الانشقاق ولتبع الدولتين الكبيرتين فى المعسكر الشيوعى من الانتقال من المنافسة الى الخصومة قامت موسكو بالتنازلات اللازمة . وقد تبنى ماوتسى تونج وجهة النظر هذه ولكن بدون ان تساوره أوهام حول النتائج العملية لاعماله . وكان هدفه الوحيد هو توضيح الامور وممارسة حريته فى العمل وانتهاز الفرصة لتأكيد هذا الرأى بقدر الامكان . ولم يعد يثق بخروشوف او بأى روسى آخر . ولم تعد للشيوعية الروسية تستطيع انجاز مهامها حيال الايديولوجية

الماركسية . وكان من الممكن وضع العلاقات الصينية السوفيتية على أساس دبلوماسى فقط . ولم تأت الصداقة الأيديولوجية بأية فوائد . وقد سلكت الصين طريقها الخاص نحو الشيوعية بينما تمسكت روسيا بطريقها وكان من رأى يكن انه يجب عدم دمج الطريقتين معا . ويجب ان تجرب الصين حظها بطريقتها الخاصة . وكان ماوتسى تونج يأمل عن طريق مطالبة موسكو بالكثير ان يؤدي رفضها الى قطيعة حقيقية بينهما .

وإدراك خروشوف بدوره ان الحوار الصينى - الروسى كان حوارا بين اشخاص لا يسمعون كأنما أصيبوا بالصمم . والميزة الوحيدة لروسيا على الصين هى تفوقها الفنى والعسكرى الكبير . ولا مجال للتضحية بهذه الميزة . والامر الرئيسى هنا هو كسب الوقت . ولتحقيق ذلك أعد خروشوف والكرملين خطة متقنة .

وكانت الخطة ذات صبغة أيديولوجية وتهدف الى ايجاد وضع ثورى فى بكين . ولم يكن الحزب الشيوعى الصينى يفتقر الى وجود سخط فى داخله . وكل ما كان ينبغى عمله هو اشعال الجمرات . وكان الحزب الشيوعى الصينى لا يزال تحت حكم « المحنكين » من أمثال ماوتسى تونج ، شو اين لاي ، تشن ين ، ليوشاوتشى ، تونج بى وغيرهم من الذين خاضوا مدة ثلاثين عاما سلسلة من الحروب الاهلية واحتفظوا بالسلطة العليا بموجب او بحق الاقدمية والمنزلة وكان من الممكن ادراك وجود رغبة بين العناصر الناشئة فى الحزب من أجل إعادة التنظيم وقد استطاع ماوتسى تونج بعد مناورة قام بها عدل خلالها موقفه من ان يتخلص من خصومه فى سبيل سلامة الحزب . وقد اتجهت سياسته داخل الحزب الى التشدد واتقيام بمحاولة عنيفة نحو تحقيق المرحلة الاولى التى كرس نفسه لها وهى : تطبيق فكرة الكوميونات .

وكانت حملة « المائة زهرة » ومسألة الكوميونات مرتبطتين

بخطط توجيهي واحد يمسك به ماوتسى تونج . وقد قرر خروشوف عقب المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ان يقود روسيا نحو مستقبل اقل عنفا وصلابة . ويحتمل ان يكون الغرب اقل اعتقاد بأن هذه النية تخفي وراءها مقاصد سيئة . وقد استطاع خروشوف ان يطبق وجهة نظره بطريقته الخاصة ، وحاول ان يرقى بالاراء التي يعتنقها الى مرتبة الايمان . وقد نجح خروشوف في تحويل مجرى الامور في روسيا واستسلم لضغط الجماهير التي ترغب في تحسين معيشتها وتحقيق حياة افضل . وأصبح خروشوف بهذه الطريقة بمثابة الشخص الذي يرغب في تصفية الشيوعية الستالينية . ورأى ماوتسى تونج هذا التطور عن كثب فقد كان هذا الامر بمثابة تحذير له . وبينما اتبعت روسيا خلال اربعين سنة من ثورتها مبادئ لينين وستالين التي كانت بمثابة ستار للبيروقراطية المتطرفة فقد أصبح في مقدور روسيا الان ان تفكر في ان تصبح دولة بورجوازية مستقرة اجتماعيا واقتصاديا ، وذلك في الوقت الذي كانت فيه الصين بدورها تخطو حثيثا في مفارقتها الاشتراكية . ولم يكن في استطاعة حكومة بكين ان توقف التجربة التي تقوم بها في الحقل الشيوعي قبل ان تثبت فشلها . وأدرك ماوتسى تونج بسرعة انه من الخطر الاقتصاد بخروشوف وتقليده تقليدا أعمى . وكانت حملة المائة زهرة عملية تستوحى ذلك المثل . وقد جلب نجاحها السريع نهايتها السريعة . وبدون تردد ضرب ماوتسى تونج بحملة المائة زهرة عرض الحائط .

وتحول ماوتسى تونج الى طرف الاخر من الخطة المتطرفة وأعلن عن فكرة الكوميونات . وفي غضون أسابيع بل أيام ، قام المزارعون الصينيون بتحويل كيانهم الاصلى - وهو مجموعة التقاليد القديمة - وهدموه واستبدلوه بالحياة العامة المشتركة بالمعنى التام لهذه الكلمة . وهي الاكل المشترك ، والشرب المشترك والنوم المشترك . وكان هذا بمثابة انكار تام للحياة الصينية

التي انقلبت راسا على عقب . وبذلك ارتكب ماوتسى تونج اول حماقة كبرى له في حياته السياسية .

فقد اثار الصينيين والصين على نفسه ، بما في ذلك الشيوعيين . . وأطلق العنان للمعارضة . وقد أراد ماوتسى تونج أن ينفل الى المستوى الوطنى طريقة الحياة التى عاشها مع رفاقه خلال « الوحف الطويل » اثناء جمهورية بينان اى خلال الحركة السرية .

وعندما علمت موسكو ببدء حملة الكوميونات من جانب زعيم الشيوعية الصينية اصبحت بدهول كبير وبغفزة واحدة سبقت الصين روسيا اميالا ، ولكن موسكو لم تتحرك وكذلك الحال بالنسبة للدول الديمقراطية الشعبية . واستلذت الدول الاسيوية . . ان المرء لا يستطيع أن يطلب من شعب يقدس الفردية مثل الشعب الصينى ان يحول نفسه في غضون ساعات الى مجموعة من النمل . وخسر ماوتسى تونج المباراة ورفع يده مستسلما .

ولكن هل كسب خروشوف ، كلا ، وذلك يرجع الى ان الحركة التى اراد انشاءها فى الصين فشلت بسبب مسألة الكوميونات . وقد ادى انسحاب ماوتسى تونج اللبق الى وقف الشيوعيين الصينيين المواليين لموسكو عند حدهم . ولم يكن هذا الانسحاب تنازلا . فان ماوتسى تونج القى حجره ليس الا . وظل الصينيون على وفاق تام مع موسكو وابستمروا فى مطالبة السوفيت بالاسلحة والصواريخ وتحقيق الشروط التى قبلها خروشوف . ومع ان ماوتسى تونج استقال من رئاسة جمهورية الصين الا ان جهازا لحزب لا يزال بين يديه .

وبدا ان ماوتسى تونج لا يطالب بالسيادة المطلقة على المذهب الشيوعى فى الصين او اسيا فحسب بل وفى العالم كله . ولم يكن هذا من قبيل الجنون الطبقي ولكنه تعبير عن شعور عميق

بالواقع . وكنت روسيا تحاول لم شمل الايدولوجية الشيوعية في انحاء العالم . وكانت مهمة ماوتسى تونج استخلاص النتائج .. وواصل خروشوف خسارته في هذا الموقف المشحون بالارتباك بينما كانت العلاقات بين البلدين ، من الناحية الرسمية حسنة

وفي هذه الاونة ، تناهى الى خروشوف ان هناك مقاضات تدور في سرية تامة بين بكين وفورموزا ، اى بين ماوتسى تونج وتشيانج كاي شيك تحت اشراف مدام سن يات سن - ارملة مؤسس جمهورية الصين الراحل وشقيقة مدام تشيانج كان شيك .. وان حدوث مصالحة بين الصين وفورموزا - مع انه من العسير تخيلها - فانها قد تؤدي الى مصالحة بين الصين والولايات المتحدة . وقد ارغم ماوتسى تونج خروشوف على اظهار أسلحته ، وقرر خروشوف تنفيذ خطة كان ينوي استخدامها على اعتبار انها ملاذه الاخير . وقد تطل خروشوف بازمة برلين بعد توتر الموقف فيها واقترح على بكين عقد صلح مع أمريكا . وقد فوجئت الصين بهذا الاقتراح .

وبالرغم من فشل مؤتمر الاقطاب الذى عقد يوم ١٦ مايو سنة ١٩٦٠ وبالرغم من حدوث أزمة في العلاقات بين روسيا وامريكا .. فقد أعدت موسكو خطة لاستئناف للاتصالات مع واشنطن عقب انتهاء انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة وكان على الصين ان تراجع بعد ان اعتقدت ان مؤتمر ١٦ مايو سنة ١٩٦٠ وضع حدا للازمة بين بكين وموسكو . وتمسك الاتحاد السوفيتى بارائه الخاصة بالتعايش السلمى . وشن خروشوف بعد ان استعاد سيطرته على دول الستار الحديدي حملة تلو اخرى ضسد اندييلوماسية الامريكية من اجل اذابة ثلوج الحرب الباردة بين روسيا والولايات المتحدة ولاستئناف عقد محادثات حاسمة مفيدة بين الدولتين الكبيرتين في العالم . وكان المفهوم انه اذا ظلت جمهورية الصين الشعبية خارج الامم المتحدة فستصبح اسيرة عزلتها . - - - اذا دخلت الامم المتحدة بفضل مساعى موسكو الحميدة ؛

فانها ستصبح تحت حماية الاتحاد السوفيتى ، سواء قبلت ذلك او لم تقبل . وعلى اى حال ، فقد كانت الدبلوماسية السوفيتية عازمة على ان تواصل تقدمها على المسرح الدولى بافضل الشروط الممكنة .

وفى هذه الاثناء ، اشتدت حدة النزاع الايديولوجى بين موسكو وبكين وقام « هوتشى منه » زعيم فيتنام الشماليه بدور الحكم الرئيسى بين الصين وروسيا . ولكن الموقف لم يتبدل وقد أدى ادعاء الصين بانها تستطيع اعطاء الروس دروسا فى الايديولوجية الشيوعية بالإضافة الى تجربه الكوميونات الملية بالمجازفات الى اختلال التوازن بينهما ، وتحملت موسكو وبكين بعضهما البعض رغما عنهما ، واتفقتا على امر واحد هو العمل على حفظ ماء الوجه .

ولا زالت الصين وروسيا تحتفظان بمواقفهما السابقة . وظلت الدولتان الكبيرتان حليفيتين . وببادل زعماء البلدين الزيارات الودية واشتركا فى مؤتمرات الحزب التى تعقد فى البلدين . وكان هذا الود يخفى حقيقة الموقف . ومن ثم رآحت روسيا والصين تراقبان بعضهما البعض بشك يسوده التحفظ . وكان السوفيت يتطلعون نحو أمريكا ، والصينيون يتطلعون نحو اليابان . وستواصل كل من الدولتين جهودها لتغيير موقفهما تجاه الدول الاخرى ، حسب مصالحهما ، دون ان يبدو عليهما مع ذلك اى اثر للقطيعة او النزاع .

ولن نخسر الصين شيئا فى هذه الحال . وعندما تنفصل الصين فى النهاية عن روسيا وتعجز عن الاعتماد على معونتها المادية وتفقد روابطها الايديولوجية المتينة مع موسكو ، فان بكين ستبدو فى أمين الاسيويين فى مظهر أفضل وستصبح اقرب الى قلوبهم . والواقع انه عندما ترد الصين على أعقابها وتستانف اهتمامها الصادق

بآسيا . فانها ستستطيع زيادة نفوذها دون أن تخيف الاسيويين
او تثير في نفوسهم الرعب .

واذا انفصلت جمهورية الصين الشعبية عن موسكو فانه
يصبح من السهل عليها ان تبدأ نفسها كيوعوسلافيا - كانها ضحية
قوة روسيا الاستعمارية في الوقت الذي تعتبر فيه آسيا غسر
الشيوعية ضحية الاستعمار الغربى .

وبالنسبة للصين فانه سواء كان هناك انفصال ايديولوجى عن
موسكو ام لا ، فان البلد الذى يجب عليها أن تحصل مودته بآى
ثمن هو اليابان . إذ ان بورما والهند وسيام واندونيسيا لاتزال
دولا ضعيفة من الناحية الاقتصادية .

ونظرا لان اليابان متقدمة صناعيا فضلا عن انها كثيفة السكان
وتتوق الى استعادة امواقها السابقة ، فان الصين تستطيع أن
تجدها مكملتها وهذا مالم تجده في الجانب السوفيتى . ومن
الممكن ان تحل اليابان محل الاتحاد السوفيتى كشريك اقتصادى
كبير للصين رغم أن لها ميزة مزدوجة بالنسبة للصين ، فهي
دولة اسيوية كما انها اقوى دولة صناعية فى آسيا . ولقد تبين
للـيابانيين فى غمار بحثهم عن اسواق لهم ان الولايات المتحدة لن
تستطيع الاستمرار فى مساعدتهم بصورة اصطناعية . وقد
تحررت من روسيا وبذلك يمكنها أن تصبح شريكة مثالية لليابان
.. ومن الممكن ان تبرز المشاركة اليابانية - الصينية بصورة
اقوى ولها ما يبررها اكثر من المشاركة غير الطبيعية بين الصين
وروسيا .

الفصل السابع

ختمية الواقع

تنتقل روسيا والصين من المصلحة المشتركة الى المنافسة ومن المنافسة الى الخصومة . والسبب اُرى لهذه الحالة هو الضعف النسبي للبلدين .

ولا تكفى العلاقات الايديولوجية لخلق رابطه قويه دائمة بين الدولتين الكبيرتين . وان الجماهير الصينية التى يزيد عددها على ستمائة مليون نسمة والجماهير الروسية التى يزيد عددها على مائتى مليون نسمة تختلف فى الواقع عن بعضها اختلافا يجعلها لا تستطيع دائما عقد تحالف من أجل القضية المشتركة وحدها . وتبلغ مساحة البلدين ٢٤ مليون ميل مربع . والاتحاد السوفييتى لا يزال امامه وقت طويل قبل أن يتم ارساء صرح كيانه الصناعى الذى لا يزال عاجزا عن سد حاجات الشعب المتزايدة وسيكون هذا الاقتصاد فى حالة عجز اذا اضطر ايضا الى تحمل عبء اعداد الصناعة الصينية التى لا تزال فى مهدها ان البلدين فى حاجة الى خمسين سنة من السلم والفرص الحسنة لتنظيم اقتصادهما . وهذا قد يتطلب ديكتاتورية عامة أو رجلا خارقا للعادة لايسال عما يفعل .

ويتطلب الامر مشاركة بين الصين وروسيا لتحقيق نموذج مثالى ، وحده النظرة المعنوية تثبت جانبنا من هذه الدلالة الجغرافية

وهي أن روسيا دولة أوروية واسيوية ، بينما الصين دولة اسيوية من قمة رأسها حتى اخصص قدميهما .

وقد كانت الصفة الحقيقية لروسيا منذ نشوئها بين القرنين العاشر والحادى عشر - انها أوروية اسيوية . وقد حارب امراء كييف شعوب بتشنجزيو يولوفتسى وغيرها من الجماعات والشعوب الرحالة . وكانت روسيا طوال تاريخها على اتصال مستمر مع شعوب آسيا فى ذلك الحين من التتار والتركمان والأتراك والكرنمىز . وقد أدى هذا الاتصال الى ظهور طابع اسيوى فى روسيا . وقال بليخانوف فى هذا الصدد : « اننا أوربيون أكثر من اللازم بالنسبة لاسيا ولكننا لسنا أوروبيين بما فيه الكفاية بالنسبة لأوربا » . واذا كانت هذه الملاحظة صحيحة بالنسبة للروس فان الصينيين بدورهم لم يتعرضوا لاي نفوذ قريب أو بعيد من عالم السلاف . وقد فرض القرن التاسع عشر عليهم بعض التغيرات الاجتماعية كما فرض عليهم الأخذ ببعض الاساليب العلمية الحديثة ولكنهم من الناحيتين الاخلاقية والنفسية ظلوا على حالهم دون تغيير .

وكانت العلاقات بين روسيا والصين متوترة منذ البداية فان مساحة روسيا وحدها ١٤ مليون ميل مربع وسكانها نحو مائتى مليون نسمة بينما الصين التى تضم نحو ستمائة مليون نسمة لا تتجاوز مساحتها عشرة ملايين ميل مربع .

وعدا ذلك ، فان سيبيريا هى الأرض البكر فى مناطق اسيا المزدحمة بالسكان سواء كانت اليابان أو الصين أو اندونيسيا أو الهند أو الفلبين أو اوسيام أو الباكستان أو بورما أو الهند الصينية

وتزيد مساحة سيبيريا على مساحة الصين بحوالى مليونى ميل مربع بينما لا يتجاوز عدد سكانها عشرين مليون نسمة . وثروات سيبيريا المعدنية والزراعية لا ينضب معينها . ومناخ سيبيريا مشابه لمناخ شمال الصين . وسيبيريا بالنسبة لاسيا

المزدحمة بالسكان والصين التي توشك أن تزدهم تعتبر منطقة حيوية بل وأرض الميعاد . وأن الخطر الأصفر ان كان له وجود سيخيف موسكو وليس العواصم الاوربية . والاذانية الصينية المقننة سواء امتزجت بالايديولوجية الشيوعية أم لا لن تستطيع مواصلة التأمل والتفكير في أن حفنة من الروس لا تزال تستغل سيبيريا جزئيا وحدها .

وإذا حدث واندمج الاقتصاد الصيني في الاقتصاد الياباني فأصبحا متكاملين فقد تتجه الدولتان الى اكتشاف أرجاء سيبيريا . وحتى لو ظلت الصين موالية لموسكو واعترفت بحقوق روسيا في جميع ميادين حياتها الاقتصادية والسياسية فإنها لن تستطيع في النهاية إلا أن تثير مسألة مستقبل سيبيريا باسم التضامن الاسيوي وخاصة إذا أصبحت آسيا شيوعية . وتستطيع يكين أن تقترح استغلال سيبيريا استغلالا مشتركا باسم الجماعة الاسيوية الشيوعية . وهكذا ، فإنه بفضل قوة الاحداث قد تسعى روسيا ببراعة الى التقارب من أمريكا ، لان أمريكا قد تواجه خطرا قد يجعلها ضحية السيطرة الاسيوية نتيجة للضغط الصيني - الياباني شأنها في ذلك شأن روسيا . وستفقد كل أمل في الاحتفاظ بأسواقها الاسيوية أو استعادتها مثلما ستضطر روسيا الى التخلي عن سيطرتها الاقتصادية على سيبيريا لو بقيت شريكة للصين الشعبية . وقد تتعرض الولايات المتحدة لخطر الخروج أيضا من أسواق أفريقيا وأمريكا اللاتينية لو جردت من أسواقها في آسيا وتعرضت للمنافسة من جانب الاقتصاد الصيني والياباني الذي يحتمل أن يفرق الاسواق العالمية بالبضائع وقد يشهد المرء بعد ذلك الفقر النسبي للولايات المتحدة التي وقعت بين التوسع الاسيوي والانتعاش الاقتصادي الاوروبي . وقد تنزل أمريكا الى المستوى الذي وصلتته بريطانيا العظمى في نهاية الحرب الماضية .

ولتجنب هذا الموقف الخطير ، ستسعى واشنطن الى السوق

الروسية وسرى المرء بعد ذلك قيام تكتل امريكى - روسى فى وجه التكتل اليابانى - الصينى والى الحد الذى تتنازل فيه الايدولوجية الماركسية والتحرر الامريكى لمطالب اقتصاد البلدين ، فان روسيا والولايات المتحدة ستكتشفان مجتمعا تكنولوجيا يؤدى بعد ان يضع نصب عينيه تساوى سكان روسيا واميركا الى تناسى الخلافات العميقة بين البلدين .

وعندئذ ستصبح روسيا والصين عدوتين لدودتين . وستدرك الدولتان ان التشابه الايدولوجى بينهما لا يكفى لتوفير الظروف الملائمة لامتزاجهما الاقتصادى او السياسى . وبنفى الطريقة ، قد تستطيع دولتان راسماليتان حرتان - مثل امريكا وبريطانيا العظمى بينما تتمسكان بنفس المثل الاجتماعية - ان تتنافس بطريقة حرة دون أن ترفع كل منهما قبضتها فى وجه الاخرى .

ان التاريخ عبارة عن سياسة الماضى . ولكن يجب ان ينظر المرء لسياسه المستقبل باهتمام مماثل . ويجب على المرء لذلك أن يركز اضاءه الحاضر على العشر او العشرين سنة القادمة .

وكم من اوضاع سياسية ظهرت فى الماضى واطاحت بقواعد قائمة ؟ لقد وقعت المذابح بين البروستانت والكاثوليك فى الوقت الذى وقعت فيه اتفاقيات غير طبيعية بين الدول الكاثوليكية والبروتستانتية فقد تحالفت أكثر الامبراطوريات أوتوقراطية فى العالم - وهى امبراطورية القيصر الكسندر الثانى فى روسيا مع الجمهورية الفرنسية التى كانت الطبقات الحاكمة فى روسيا آنذاك تحتقرها - وخلال حرب الانفصال ، وافق الرئيس لنكولن على قبول المعونة العسكرية والاقتصادية من روسيا القيصرية، ووقف الاسطول الامبراطورى الروسى على مقربة من ساحل نيويورك لحماية الشمال الامريكى من الغارات البحرية التى قد يشنها الجنوب والامثلة عديدة فى هذه الناحية .

ان المسألة ليست مسألة تفاؤل أو تشاؤم تجاه موقف ما . وموقف

الصين والاتحاد السوفيتي يجب ان يفحص باستمرار فحضا
موضوعيا وكذلك بحث الاسباب التي أدت الى تدهور هذا الموقف .
وسوف يلاحظ المرء انه أمام موقف لم يسؤ بعد وانه يخضع لتطور
الظروف .

والستار الحديدي ستار متحرك وهو يتحرك نحو سور الصين
العظيم . والتجمع الاقتصادي والسياسي يحدث دائما في كل زمان
ومكان ، فنجد الحلفاء ينضمون الى اعدائهم الالقاء والعكس
بالعكس . وقد مر القرن الثامن عشر عند وقوع حرب السبع
سنوات - بنفس هذه المرحلة التي كان فيها تبديل الاحلاف أمرا
عاديا . وأما اليوم فقد كيف التصور السياسي نفسه مع تحولات
الجغرافية السياسية . وقد اتسع نطاق المسرح . وظلت العناصر
الاساسية على ما كانت عليه ، ولكن ما كان صالحا للتطبيق في
المستوى الاوروبى فقط أصبح كذلك أيضا بالنسبة للمستوى
العالمى .

وليس في استطاعة الصين وروسيا ان تغيرا مجرا الاحداث .
ولن يقوم حكم صينى - سوفيتى مشترك على الكرة الارضية الا
اذا نجحت الشيوعية في غزو العالم غزوا سهلا سريعا واستطاعت
اجتذاب جماهير لقارتلخمس . ولكن المشاركة في الحكم بين موسكو
وبكين لا يتوقع احد أن تستفيد منها دول الديمقراطيات الشعبية
التي هي مجرد حاجز واق للاتحاد السوفيتى . كما أن دول الحياذ
تبدو حذرة وغير ميالة لان تكون ذات نفع للقضية الشيوعية التي
تفسرها الصين وروسيا دائما تفسيراً متباينا .

ويدرك زعماء الصين وروسيا ضرورة وقف النزاع في تحالف
لا يمكن ان يبقى الا في ظروف معينة غير متوفرة حاليا . وكان لابد
للثورتين من أن تتفقا في الزمن والرأى . ولكن ذلك لم يحدث
فان الثورة الروسية اندفعت الى الامام لاسباب عاطفية وأخرى
اقتصادية . ولم تستطع الطبقات الاجتماعية في روسيا أن تصل

الى نقطة التقاء . فقد كانت هذه الطبقات تقف ضد بعضها بسبب ما تشعر به كل منها تجاه الاخرى من حقد وخوف . وادت القسوة في الكلام الى قسوة حقيقية في الاعمال . ولقد نبتت الثورة الروسية من ثمار الغضب . وقد ذبح ضحايا عام ١٩١٧ والاعوام التي تلتها في غمرة الغضب ، وكانت القسوة وجب الانتقام هي القاعدة السائدة .

ولم يكن لينين واتباعه بحاجة الى تشجيع الثوريين الذين كانوا يفوقونهم تطرفا بل وصل بهم الامر الى خد لومهم على ضعفهم وترددهم .

اما الثورة الصينية ، فكانت على العكس ، حملة عسكرية في الاصل . فقد واجهت الجماهير الصينية حقيقة واقعة : وهي هزيمة المسكر الوطني . وكانت الثورة الروسية غامضة . وكان من الممكن أن تظل ديموقراطية ولكنها سلمت نفسها الى البلاشفة لحاجتها الى المتطرفين . أما الثورة الصينية فعبارة عن مقابلة بين نظامين للحكم . وقد حازت القبول عن طريق الحكمة . وكان على الثورة الروسية أن تطيل عمرها عشرين عاما في ظل لينين . ثم في ظل ستالين من بعده ، وكانت تلتهم أبناءها التهاما . وفرض ستالين حكم الارهاب على أنصاره وغيرهم . ولكن ماوتسي تونج لم يتخل أبدا عن واحد من رفاقه . وقد تجنب عمليات التطهير داخل الحزب ويبدو ان الصين شهدت ثورة بدون ثوريين - بالمعنى الارهابي لهذه الكلمة .

وقد استطاعت الثورة الصينية أن تنقل الصين الى عهد جديد وعالم جديد ووسائل جديدة . وكان العدو الحقيقي للشيعوية الصينية هو الحضارة القديمة المتلازمة مع الكونفوشية والبوذية وإذا استطاعت هذه الثورة المنقولة عن الماركسية والتي تمارسها الكوميونوات الصينية أن تصحح اقتصاديات البلاد فان هذا لايعنى أنها سوف تصبح بمثابة مذهب فلسفي يمكن فرضه على العقلية الصينية . وتستطيع الصين - التي قيل لها شبه

الاسفنج ولها ملكة الامتصاص والافراز - أن تحول الأفكار الشيوعية
تحويلا لا يمكن معه تمييزها وبحيث يتسائل المرء اذا كانت مثل
هذه الأفكار تمت الى الشيوعية بصلة .

ان أوجه الاختلاف بين الوضع الروسى والوضع الصينى أكثر
من أوجه التشابه . ولا توجد فى الاتحاد السوفيتى معارضة حقيقية
للشيوعية فيما عدا المعارضة التى تتزعمها الجماعة المناوئة للحزب
والجماهير الروسية تبدو غير مكرثة بمستقبل الشيوعية ولكنها
لا تفعل شيئا للتخلص من ديكتاتوريتها . وفى الصين توجد جماعتان
معارضتان : المعارضة التى شكلها أنصار تشيانج كاي شيك
ومقرها فورموزا والمعارضة الغامضة التى تسود بعض القطاعات
الصينية لأسباب متعددة .

وليس ثمة ما يمكن أن يقال عن حكومة فورموزا نظرا لان عدم
شعبيتها ترغمها على ألا تفعل شيئا . ويختلف الامر بالنسبة
للمعارضة المجهولة . فهذه المعارضة تضم فى قارة الصين العناصر
الشديدة الاختلاف فى المجتمع الصينى بما فى ذلك الشيوعيين .
وترفض هذه المعارضة تعاليم وأوامر بكين كما ترفض الولاء
لفورموزا . وإن ضخامة الصين نتيح لهؤلاء فرصة مناسبة للاجتماع
واختيار أماكن عديدة للاتصال . وتترك بكين وفورموزا وجود
هذه المعارضة . كما تترك موسكو ذلك . ولا يعتبر الكرملين
هذه المعارضة عنصرا معاديا . فهو يعتبرها قوة صغيرة حاليًا
ومحايدة فى تفكيرها . وهى معارضة لحكومة بكين وليس لسياسة
حسن الجوار أو التفاهم النسبى مع موسكو . ويجب أن يلاحظ
أن هذه المعارضة لا تملك نظاما فعالا أو قاعدة للمناورة أو زعيما
معروفا . وهى ليست مجمعا للنقاد أو هيئة سرية ذات صبغة
اسيوية . وهى قوة خفية يصعب معرفتها . ولكن ما هى الأسباب
التي يمكن أن ترغم مثل هذه المعارضة على تنظيم نفسها ومباشرة
عملها ؟ .

يمكن أن يرى المرء الاستياء الناجم عن سوء المحاصيل إذا كان

هذا متتابعا ودائما . وفي هذه الحال ، يشترك الفلاحون في ثورات ضد المسؤولين في الحزب .

وارتفاع نسبة المواليد قد تخل توازن النظام الاقتصادي الحالي . وازدياد عدد سكان المدن سيكون له نفس الاثر . ولكن الاسباب الاقتصادية او المتعلقة بالجو لا تكفى لتفسير ثورة تقوم بها الجماهير أو فئات معينة من الجماهير في الصين ضد حكومة بكين .

ومن الممكن قيام معارضة منظمة اذا انهمكت بكين في عملية تقديم معونة كبيرة للدول المتخلفة . ولكن ما دامت الايديولوجية تسعى لتزويد الصين بكيان اقتصادي حيوي كما يحدث الآن فعلا فان المعارضين سيصفحون عن بعض مساوئ الحكومة . واذا كانت الدولة واقتصادها الضعيف سيستسلمان لقتضيات ايديولوجية ترغب في الانتشار جزا فافا في انحاء العالم فقد يقوم الفلاحون باضراب خفي . وسيجد الجيش الذي يتألف غالبا من ابناء الفلاحين صعوبة في العمل ، وقد يتعرض لخطر التمرد بدلا من مهاجمة الشعب .

وفي هذه المرحلة يمكن أن تقدم المعارضة المجهولة زعماء للثورة . وهناك اختلاف كبير بين فرص قيام ثورة مضادة في الصين وفي روسيا .

فان بكين تدرك مثل فورموزا وجود هذا الخطر الخفي . وأن وجود معارضة منظمة ومستقلة عن فورموزا قد تحمل في ثناياها انهيار حكومة فورموزا ذاتها ولن ينقذ تشيانج كاي شيك من الانهيار سوى المصالحة مع بكين . ولوقوف هذه المعارضة عند حدها ، عمدت حكومة بكين الى تأمين نفسها وتدعيم مركزها عن طريق اقامة علاقات واتصالات مع العالم غير الشيوعي الى اقصى حد ممكن ، واتاحة الفرصة للصين لفرض نفوذها في الشؤون العالمية والمشكلات الدولية . وحكومة بكين تهدف من ذلك الى انه ما دامت الثورة

تعمل على اعادة القوة والمجد للصينيين فانها تستحق تأييدا غير مشروط من جانب جماهير الشعب وصفوة رجاله .

وقد استطاعت الصين بفضل تدخلها في الشرق الاوسط وجنوب آسيا وأفريقيا أن تسترعى اهتمام روسيا ، وهذا في حد ذاته عمل استراتيجي . ولكن هذا التدخل أيضا عمل تكتيكي يهدف الى التأثير على الصينيين انفسهم .

وقد دعم ماوتسى تونج مركز الثورة الصينية عند ما أعلن في المؤتمر الثامن للحزب : « أننا سنؤيد الحركات التي تكافح في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية من أجل حريتها » وفصل ليو شياوتشى الشيء نفسه عند ما ردد معنى عبارة ماوتسى تونج قائلا : « أننا نكافح الى جانب ضحايا الاستعمار العالمى » وقد يكون لهذه التصريحات بعض الاثر في البلدان التي يعينها الامر كما كان لها تأثير على موسكو ومست مشاعر الشعب الصينى الذى يعلم من تاريخه فظالة التدخل الاستعماري وقد يكون هذا كله في صالح حكومة بكين التي تهدف الى تشكيل جبهة صينية عامة ضد الاجانب الاقوياء .

وللاتحاد السوفيتى دول تابعة ، ولكن الصين تجنبت أن يكون لها دولة تابعة واحدة . والمعونة التي قدمتها الصين لكوريا الشمالية أو فيتنام هي معونة مادية ، ويمارس زعماء كوريا الشمالية حقوقهم بدون ادنى اشراف من الصين . وهذا يعود الى أن آسيا تتابع باهتمام أعمال بكين وسلوكها حيال حلفائها في آسيا وأن اتخاذ الصين لموقف صحيح يعتبر أساس نفوذها لدى دول آسيا . وتريد بكين بأى ثمن أن تتجنب اتهامها بالاستعمار الجديد وبذلك تبين أنها تختلف عن روسيا . ومن هذه الناحية اساءت حوادث التبت للصين بالرغم من اصرار شيو اين لاي على اثبات أن التبت هي مسألة صينية داخلية .

وعند ما ادعت بكين زعامة الاحزاب الشيوعية في آسيا فانها كانت تطالب بتأكيد حقيقة قائمة .

وكانت الاحزاب الشيوعية في آسيا تتلقى دائما معونة مادية من بكين ، وظلت موسكو كعبة الشيوعية الدولية ، ولكن الاموال والاسلحة والتعليمات تأتي من بكين . وقد تدخلت الصين في بورما علنا . ورحب الشيوعيون في بورما بالفدائيين الصينيين الذين دخلوا بورما بحجة وقف الغزوات التي تقوم بها قوات الصين الوطنية المشتركة في شمال بورما والتي تتلقى أوامرها من شيانج كاي شيك وفي الملايو « أوجد الثوار الشيوعيون متاعب خطيرة للانجليز . وفي الهند الصينية أوشك الشيوعيون على إثارة حرب عالمية ثالثة .

وقد استخدمت بكين هذه الحركات الشيوعية الاسيوية أداة مسابمة في مفاوضاتها مع الدول غير الشيوعية ، ولكنها لم تخدم سياسة التقارب مع دول جنوب شرق آسيا . وكان على الاحزاب الشيوعية وضع « فرملة » لنشاطها وجاء تشكيل حلف جنوب شرق آسيا بمثابة استئناف الغرب لسيطرته على المنطقة واشتراك الفلبين وسيام في هذا الحلف كان تدعيما لصقوف الدول غير الشيوعية . وكان لهذا الحلف تأثير فعال مع دول مثل أندونيسيا وبورما والهند ترتب عليه اضعاف موقف الحياذ في هذه الدول ولوحظ حدوث تحول في صالح الغرب .

ولم تكن في استطاعة بكين في ظل هذه الظروف أن تستمر في الاحتفاظ برجال العصابات ونشر القلاقل والهيّاج في منطقة جنوب شرق آسيا . فلم يعد لهذا العمل فائدة تذكر . وكان هذا التطور اقل ازعاجا للغرب منه لبكين التي لم تكن المظاهرات السلمية التي تقوم بها تتفق مع الحرب التي يقوم بها الشيوعيون في الملايو وبورما ولاوس . وقد أصبح شيوعو لاوس تحت سيطرة الصين وفيتنام ، وهم قوة احتياطية كبيرة ، وسيطرة بكين عليهم تتطلب تقديرا

لمساعى حكومة الصين الحميدة من جانب الدول غير الشيوعية التى
تختشى نشاط الاحزاب الشيوعية الداخلة .

ولم يكن هدف الحذر الصينى الاساءة الى حساسية الدول
الاسيوية بل ان ديبلوماسية الصين تتخذ جميع الخطوات الممكنة
لكسب ود الهند . والهند اكبر دولة اسيوية بعد الصين وهى
ليست شيوعية . وهى بالنسبة للصين مثل الصين الوطنية بالنسبة
لموسكو - جار كبير ينطوى ضعفه على فائدة كبرى .

وان محاولة نشر الشيوعية فى الهند وحث الشيوعيين على
القيام بحملة واسعة النطاق ، ومحاولة استغلال يؤس الجماهير
الهندية من اجل جعل الهند دولة شيوعية كبرى كالصين قد يؤدى
فى الوقت الحاضر الى قيام منافس خطير لبكين يستطيع أن يرشح
نفسه لزعامة الجماهير الاسيوية . وما يحدث فى العلاقات بين بكين
وموسكو قد يتكرر .

ويجب أن تكون هناك فترة انتظار ، كى يفعل الزمن والتآكل
فعلهما وقد يطول هذا الانتظار طالما كان فى استطاعة نهرو وخلفاؤه
أن يحفظوا التوازن بين العالم الرأسمالى والكتلة الشيوعية . وأن
المنازعات التى حدثت داخل هذه الكتلة والاحتكاك بين موسكو
وبكين قد ساعد الصين الى حد ما . ويبدو أن الصين أرادت أن
تثبت بذلك لنهرو أن الكتلة الشيوعية أقل خطرا مما كان يظن .

أما بالنسبة لليابان ، فإن التقارب مع الصين أمر محتم وأن صبر
وبراعة هاتين الدوائين كفيلا فى تحقيق ذلك . وهناك حقيقة
مشاركة بين البلدين وهى المجاعة . وتحاول اليابان بشدة مكافحة
هذا العدو العام ولكن المواد الخام التى تستوردها تبتلع مكاسبها
وفى ظل الظروف الراهنة وصلت السوق العالمية الى درجة من
الاشباع تبتجى الفوضى الاقتصادية الفرية على العالم الرأسمالى
والشلل الذى جاء به الستار الحديدى وستار الغابات الهندى .

وسيرتفع ستار « البامبو » الهندي في يوم ، بفضل الرغبة المشتركة للصين واليابان اللتان تكملان بعضهما البعض .

ان المجاعة هي باروميتر حكومة بكين . والخوف من انتشار المجاعة يحدد أعمال الشيوعية الصينية . وكانت المجاعة بالنسبة للحكومات السابقة ظاهرة طبيعية ، ولم يحاول أحدها أن يهاجم الطبيعة . والهدف الأكبر للحكومة الشيوعية هو القضاء على المجاعة . وكان لتشيانج كاي شيك عذره في عدم معالجة هذه الآفة بسبب الحروب الأهلية والتدخل الاجنبى . ولا تستطيع بكين أن تقدم مثل هذا العذر ولذلك فهناك سيف مسلط دائما على رؤوس حكام الصين . وقد تحدث كارثة وطنية في أبة لحظة تقضى على الحكومة في وقت قصير جدا . ومن ثم تقع الثورة العاطفية التي لم تكن موجودة عند استيلاء شيوعية ماوتسى تونج على زمام الحكم وقد يعود غضب وانفعال الثوريين الروس في عام ١٩١٧ الى الظهور من جديد في الصين ويوجه في هذه المرة ضد الشيوعية في بكين .

ولم يخف هذا الاحتمال على الكرملين الذى يريد أن يحتاط لنفسه من رد الفعل الذى قد يترتب على كل ذلك والذى قد يؤثر على مركز حليفته الصين ومن المفهوم ان بعض الحكام فى الكرملين ينظرون الى الصين الشيوعية كتمثال كبير قاعدته من الطين .

ولاسباب عديدة مختلفة ، كلنت الصين اقرا محيرا للمكتب السياسى فى موسكو . وهى توحى بالقلق وعدم الثقة بصورة اعمق مما يشعر به الغرب أمام سور الصين العظيم أو الستار الهندي . ولم يكن العشرين ألف روسى من الاخصائيين والفنيين والجنود يعرفون عن أسرار الصين بعد مفادرتهم لها فى جنيف عام ١٩٦٠ أكثر من بعض الدبلوماسيين الانجليز .

وتعتبر الكتلة الصينية الروسية حاليا مزيجا من المشاركة والنزاع فهى فى أزمة ، واذا كان على الاتحاد السوفيتى ان يوافق

غداً - بدون تقديم شروط - على تبعيته الأيديولوجية السياسية للصين ، فإن الكتلة ستزداد قوة ومن ناحية أخرى ، فإذا تغلبت الصين عن طموحها في التفوق الأيديولوجي فستتعرض لمحنة منازعات داخلية وسيظهر الشيوعيون المتحمسون من الوطنيين من انقصار العهد الماضي .

ويبقى أمناً بعد ذلك الحل الحالي وهو تعايش الصين وروسيا في المعسكر الشيوعي . وهذا شرط بسيط على ضوء الوضع الأيديولوجي . وهذا هو السبيل الوحيد لتكاثر انتصار الشيوعية في الأيام السعيدة المقبلة .

وفي العالم اليوم حيث المشاكل الاقتصادية تبدو بارزة والمتقدم يفرض ديكتاتوريته فمن الممكن أن يعيش النظام السوفيتي بالاشتراك في النشاط الرأسمالي .

ولم يتوقف خروشوف عن فعل ذلك سواء من معرفة أم لا . فقد تخلى خروشوف عن العزلة التي فرضها ستالين وراح يقلد أمريكا في كافة النواحي .

وباتباع الوحى من حجج أمريكا الرأسمالية ، فقد أصبح الكرملين في ظل خروشوف وميكويان وغيرهما معتاداً على النضمة الأمريكية . ويتبنى شعارات وأساليب العمل والفكر الأمريكى فقد أعطى الروس الأولوية للناحية الفنية العملية والإنتاج وتشمل هذه الأولوية كافة جوانب الحياة الروسية بما فيها الناحية الأيديولوجية التي يجب أن تخضع لأهداف الرعاة الروس المهتمين بالعلوم الذين أصبحوا يحكم الكرملين . وقد تنجح خطة السنوات السبع وتتيح للسوفييت اللحاق بالغرب وأمجاده . وفي هذه الحال وبدون أن تصبح روسيا رأسمالية سيكون الاتحاد السوفيتي قد عقد اتصالات كافية مع النظام الغربى وتبنى منه أفكاراً كافية تنتهى بأن يصبح مماثلاً له . وقد يتنبأ المرء بأن الغرب سيعمد لمحاربة

الروس بنفس أسلحتهم لمواجهة منافستهم الاقتصادية . وقد
يتبنى بعض الإجراءات القاسية المتبعة في روسيا وقد يؤدي هذا
الى فرض نظام خاص فى بعض النواحي المضطربة فى راسمالية الوقت
الحاضر .

وبهذه الطريقة سيتم بعض النملاذج كى تدوب راسمالية الدولة
فى روسيا والراسمالية الغربية الحرة معا . ولن تضر الراسمالية
العملية شيئا فى هذه الحال . وستواجه الشيوعية المثالية نهايتها
... وقد يكون هذا صحيحا بالنسبة لروسيا ، ولكن ماذا بشأن
الشيوعية الصينية ؟

واذا أرادت الصين بعد خيانة السوفييت ان تسعى الى
المصالحة مع فورموزا وإيجاد الوسائل اللازمة للاتحاد مع اليابان
فان الشيوعية الصينية ستجد طريقة معقولة للامتثال لتجربة
جديدة لا يهم معرفة أسمها كثيرا .

وسيكون فى استطاعته الذكاء الصينى الإيجاء بعقد ارتباطات
مناسبة جدا ولن يكون أمام بكين سوى إعادة بعض الامتيازات
للقطاع الراسمالى فى الاقتصاد الصينى الحالى وتخفيف القواعد
التي تهيمن على القطاع التابع للدولة . وسيصبح ماوتسى تونج
بعد انضمامه الى صفوف الفلاسفة قديسا لا يناوئ أحدا .

وحكام الصين - مثل حكام روسيا - بما لديهم من معتقدات
ايدولوجية مهما كانت عاطفية - فانهم ملزمون بالحفاظ على
شعوبهم . وينتهى الامر بالطرفين الى الاستسلام الى حتمية
الجبرية الصحيحة التي تتحكم حتى فى الاحداث التاريخية الشاذة
وهى الواقعية السيلسية .

هيئة قناة السويس

أثر قناة السويس في الاقتصاد العالمي

تختصر قناة السويس طريق البواخر بين الشرق والغرب ، إذ تجنبها الدوران حول رأس الرجاء الصالح فتقتصد بذلك بين ١٧٪ و ٥٩٪ من المسافة بين مختلف القارات ، كما انها تحقق وفرا في الوقود تتراوح نسبته بين ٥٠٪ و ٧٠٪ تبعا لحمولة السفينة وسرعة سيرها .

ان حركة البضائع عبر قناة السويس خير مقياس لتطور اقتصاديات البلاد وخاصة الأوروبية منها . فكلما ازداد حجم البضائع العابرة وكلما نشطت حركة الملاحة في القناة ، ازدهرت الاسواق وراجت التجارة العالمية أما اذا هبطت حركة الملاحة في القناة لسبب من الاسباب أو تعطلت كلية كما حدث ذلك اثر العدوان الثلاثي في مطلع نوفمبر ١٩٥٦ ، فانه ينتج عن ذلك اضطرابات عنيفة تزعزع اقتصاديات بلدان العالم ويترتب عليها أوجم العواقب .

وان نظرة واجدة الى ما انتاب أوروبا والشرق الاقصى من ازمات خلال فترة تعطل الملاحة في القناة اثر العدوان لجديدة بابرزال الدور العظيم الذي يلعبه هذا المرفق على مسرح الاقتصاد العالمي

هيئة قناة السويس

الكراكة تحتمس

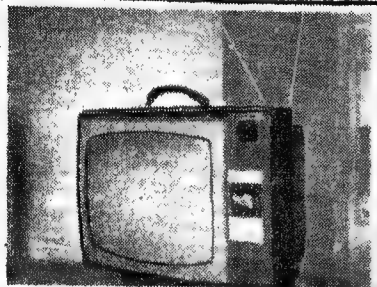
السكراكة « تحتمس » هي احدى الوحدات العائمة التي تستخدمها هيئة قناة السويس في عمليات صيانته وتوسيع وتعميق القناة وقد صنعت هذه الكراكة بمصانع سكيدام في هولندا ، وبلغت تكاليف صنعها أكثر من مليون جنيه .

ويبلغ طولها ٧٨ مترا وعرضها ١٣ر٥ متر وغطاسها مترين و٦٠ سنتيمترا ، أما قوة محركاتها فتصل الى ٤٤٥ حصانا منها ٣٣٠ حصانا لطلبية الكسح وحدها . وتستطيع هذه الكراكة تحطيم الصخور وتفثيت الاجبار ثم امتصاص الاتربة بمعدل ١٦٠٠ متر مكعب في الساعة الواحدة وقذفها الى مسافة بعيدة .

ويتألف جهاز التحطيم الخاص بها من عجله ضخمة ذات أسلحة حادة ، قطرها ثلاثة أمتار وسمكها ١٨٠ سم ، تدور بسرعة تتراوح بين ١٠ ، ٣٠ دورة في الدقيقة بمحرك قوته ٥٠٠ حصان ، فتطحن الأرض طحنا ثم تجمع الأرض المطحونة أمام فوهة ماسورة الشفط التي تبلغ قطرها ٨٥ سنتيمترا .

وتقذف الكراكة الاتربة على الضفة بواسطة مواسير يبلغ قطر الواحدة منها ٧٥ سم وتلك المواسير نوعان : نوع عائم على سطح الماء وقد يصل طوله الى ١٢٠٠ متر ، ونوع يمتد على اليابسة وقد يبلغ طوله ١٤٠٠ متر . ويعنى هذا ان الكراكة تقذف الاتربة الى مسافة ٣٦٠٠ متر من مركز عملها .

وكانت هذه الكراكة قد أغرقت في أثناء الاعتداء الثلاثي على القناة وتم انتشالها وأجرى إصلاحها في ورش الهيئة العمومية ببورفؤاد بأيدى العبال واشراف المهندسين العرب



١٩ بوصة

Publication of the Alexandria Library (QAD)

QAD is a registered trademark

أروع ما أنتجه مصانع شركة النصر للتليفزيون
على أحدث طراز عالمي

فهرس

صفحة	
٣	الفصل الاول : وجهها لوجه
١٥	الفصل الثاني : نظريات ورجال
٢٧	الفصل الثالث : من ترشنتسك الى منشوريا
٤٣	الفصل الرابع : صراع الايديولوجيات
٥٧	الفصل الخامس : بالنظم الاقتصادية المتنافسة
٧١	الفصل السادس : سياسة التحدى
٩٣	الفصل السابع : حتمية الواقع

320.51047

الضم - العلاقات الخارجية - الاتحاد السوفيتي
 الاتحاد السوفيتي - العلاقات الخاصة - الصين
 الصين - تاريخ - اليوم الحديث
 الصين - الاموار



۱۵۷ شارع عبید - روض الفرج
تلفون: ۴۵۳۴۶ - ۴۵۴۰۵ - ۳۱۶۲۵

٢١



١٥٧ شارع عبید - روض الفرج
تليفون : ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥



Bibliotheca Alexandrina



0519655

~~الهيئة العامة للكتاب~~

العدد ٢٧٠